

# الفصل السابع

## التربية الإغريقية

### مدخل

على دارس تاريخ التربية ألا يدهش للوفرة في المادة العلمية التي يجدها عن حياة اليونان القدماء وفلسفتهم وتربيتهم . فالكتب الغربية التي تناولت التربية وتطورها بالبحث والشرح والتعليق أبت إلا أن تعطي الإغريق نصيب الأسد ، وقد يقول بعضهم إن وفرة ما عندهم من مصادر عن هذه الفترة في حياة البشرية مع ازدهار للحياة الفكرية في المدن الإغريقية تحتم عليهم أن يفرّدوا لها مكان الصدارة . على أن بعض الدارسين يرون في هذا تحيزاً من غربي لغربي ، ويهتفون صائحين بأن يمم مؤرخو التربية وجهوهم شطر الشرق ، وسوف يجدون فيه الكثير من الفكر الذي يستحق كل عناية ... في وقت سبق فيه الشرق الإغريق بأكثر من عشرين قرناً .

وتقع اليونان على حافة العالم الغربي متوسطة الشرق والغرب ، ولم تتقابل حضارتا الشرق والغرب على أرض اليونان القديمة فحسب ، بل إن هذه الأرض ذاتها فجرت ينابيع من الحكمة والفلسفة سالت على الشرق ثم أغرقت الغرب إغراقاً ما عاد بعده بمستطيع أن يقبل مزيداً من التراث الفكري الذي خلفه الشرق . وتمر قرون طويلة قبل أن يتطلع الغرب حوالبه ثم يمد عنقه إلى الشرق الغامض يتأمل - في حذر شديد - في أديانه وتعاليمه ونظراته للحياة الدنيا والآخرة (١) .

---

(١) ونقول الأنباء الواردة من العالم الغربي وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية أن أعداداً غير قليلة من الشباب اعتنقوا بعد أن آمنوا بعض دبانات الشرق .

واليونان شبه جزيرة تمتد أصابعها وجزرها في البحر المتوسط بمناخه المعتدل الداعى إلى حرية الحركة . وليس شبه الجزيرة سهلاً يرمح فيه الإنسان والحيوان كيفما شاء ، بل جبالا ووهادا تتطلب مشقة وعملاً وجهداً جسدياً . وعلى أرض شبه الجزيرة تناثرت دول أطلق على كل منها « مدينة دولة » City State ولكل منها نظامها وقوانينها وتشريعاتها وأطعماها ...

وعشرات من الآلهة للبر والبحر وللحرب والسلام والجمال .. وتحارب الآلهة بعضها البعض الآخر .. وإذا كان فرعون مصر إلهاً يموت فألهة الإغريق خالدة لا تموت ، ولكنها تغضب وتثور وتهدد وتذمر ثم تهدأ ، ويرقص الإغريق ويقيمون الاحتفالات ، وتسيل أنهار من خر مذهبى ، وتمتد الموائد ، ويباح ما نراه اليوم إنمأً وجرماً .

ولم تعرف اليونان القديمة وحدة ، واختلفت بين مدنها الأنظمة الحكومية بين ديموقراطية واستبدادية ممعنة في جبروتها وسطوتها . وقبل أن نظرق أبواب مدينة من هذه المدن - وهى حديثة في تاريخها - نتساءل عن أحوال بلاد اليونان في عصور التاريخ المبكرة . والمعلومات قليلة ، بل نادرة وتعتمد على الأساطير ، فيقال مثلاً إن سيكرو بيا المصرى هو الذى أسس مدينة أثينا وحمل إلى هذه الأرض فنون الحياة المتحضرة . كما أن مصرياً آخر وهو دانا يوس هو الذى أسس أرجوس ، وقد طار إلى بلاد الإغريق ومعه بناته الجميلات وقد بلغ عددهن خمسين عذراء وانتخبه السكان ملكاً .

ويظهر الإغريق إعجابهم الشديد بأبطال أساطيرهم ، وتقديرهم البالغ للأعمال التى تفوق إمكانات البشر ، ولا نجد الأساطير غضاضة فى أن يطير الإنسان ويحطم ما يريد ، ويهيج البحر بأمر من الآلهة ، فتثور الطبيعة وتعلم الأمواج ... بل وقدوة عند البطل لتحويل كل حى إلى حجر ، وأن يحى الفارس حبيته ويقتل حيواناً رأسه رأس أسد على جسم ماعز له ذيل التين . وتقص الأساطير عن ما ينوس ملك كريت الذى أبعده القراصنة عن شواطئ جزيرته ثم منح شعبه قوانين جاءت من الإله زيوس . كما أن البطل المغوار

بنيوس حرر آثينا من اللصوص ومن الجزية التي كانت تدفعها لملك كريت بشرط أن يقدم كل عام للوحش مينوتاور سبعة شبان وسبع فتيات عذارى . ما هرقل فكان أعظم الأبطال ، وقد استطاع أن يهتق الأعمال الخارقة التي أطلمها منه ملك ميسينيا بموافقة الإله زيوس .

شعب وبطل وملك وإله تجمعهم الأساطير والكل سهيد بها ، بل هي محل فخر كل إغريقي في ذلك الوقت .. وخرجت البعثة الأرجونية التي تتكون من خسين بطلا وعلى رأسهم العظيم الهائل أجاسون إلى سفينة أرجو ليعودوا بالفراء الذهبي الذي أخذ إلى شواطئ أيوكسين ..

واتخذ الإغريق في الأساطير لإنقاذ هيلين ذات الجمال الساحر وزوجة مينديلابوس ملك أسبرطة .. وغضب البطل الأسطوري أخيل وكان جسمه كله مغطى بالدروع إلا فتحة صغيرة في كعبه نفذ إليها سهم قاتل ... ثم يوليبيوس وأعماله الخارقة وتدمير طروادة وعودة الأبطال ... وكل هذه الأحداث وعشرات البطولات تكون الإلياذة والأوديسا لهومر .

ونستقى معلوماتنا عن العصر الهومري ( حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد ) من الإلياذة والأودسا حيث تكون المجتمع ، من طبقة أرستقراطية وأخرى متوسطة وطبقة العبيد . واشتملت الطبقة الأرستقراطية على ملاك الأرض ، والمتوسطة على العمال والصناع .. وتوقفت تربية الأفراد على الطبقة التي ينتحون إليها ، فأصحاب الطبقة العليا تعلموا الفنون الحربية والموسيقى ، وفي هذه الفترة المبكرة من تاريخ الإغريق انقسم اليونانيون القدماء إلى أربعة فروع : الدوريون - الأيونيون - الأبوليون - الأخيون . وحتى قبل قيام المدن فقد عرف الإغريق التصارع والحرب ، ولعل أول هذه الأقسام نمواً في الأمور السياسية كانوا الدوريين والأيونيين ، وأشهر مدن الدوريين أسبرطة أما بالنسبة للأيونيين فقد برزت آثينا ، وكانت ديموقراطية ، بينما أسبرطة ذات طابع ديكتاتوري استبدادي .

وفي مستهل القرن السادس قبل الميلاد ظهرت عدة تشريعات إصلاحية

على يد القانوني سولون، وتبعه في أفول القرن كلايستينيس بتشريعات أكدت ديموقراطية آثينا . ولكنها كانت ديموقراطية عرجاء ناقصة ، فالخضارة الإغريقية اعترفت أنها قامت على نظام العبيد .

ثم جاء الفرس غازين من الشرق بين عام ٥٠٠ وعام ٤٧٩ ق . م . وكانت حروب بين الفرس وبين الإغريق انتهت لصالح الآخر . وتمتعت آثينا بمركز حربي وسياسي خلق لها زعامة المدن الأغريقية (١) .

وسادت آثينا ديموقراطية في الداخل ، ولكن النزعات الاستعمارية بصمت سياستها في الخارج خاصة عندما بدأت تمد تجارتها غرباً حتى بلاد الغال (فرنسا) وشرقاً مع الدول الآسيوية ، وأغرى الذهب المتدفق إلى أرضها فظهرت طبقة من التجار بدأوا يتدخلون في السياسة .

وكان لابد للعاملين أن يتصادما : آثينا بديموقراطيتها وتقدميتها، وأسبرطة بأرستوقراطيتها ومحافظتها ، عندما حاولت آثينا أن توحد كل الإغريق في وحدة سياسية تحت زعامتها ، ولكن أسبرطة رفضت مؤكدة حق تقرير المصير لكل مدينة دولة ( إلا المدن التي تحت سيطرة أسبرطة ) وكانت الحرب البيليبونيزية من عام ٤٣١ - ٤٠٤ ق . م . حرباً بين قوة آثينا البحرية وبين قوة أسبرطة البرية . حرب بين الديموقراطية وديكتاتورية عسكرية . وأرغمت أسبرطة آثينا على قبول شروطها بعد سلسلة من الهزائم الحربية حاقت بآثينا ويقال إن سببها أخطاء في التكتيك الحربي وخيانات . ونظر الكثيرون شذراً إلى الديموقراطية ردحاً من الزمن ، ومع ذلك ظلت جذورها تنمو ، ولكن فكرة توحيد بلاد الإغريق لم تظهر على السطح مرة أخرى .

وفي القرن الرابع قبل الميلاد حاولت أسبرطة أن تسيطر على اليونان ، ولكن فارس أعادت الكرات الهجومية ، مما أضعف عضد أسبرطة ، وبلغ ضعفها درجة مكنت منها مدينة طيبة الإغريقية التي أصبحت صاحبة الكلمة العليا في بلاد اليونان ، ثم بدأت تضعف . ومرت أجيال لم تعرف فيها بلاد

(١) أول ديورانت (توجمة بدران) - الجزء الثاني من المجلد الثاني . ص ٦ - ٨ .

الإغريق الراحة والسلام ، فالمدن تأكل بعضها ، ولا يكاد المغيرون من مدينة يستقرون بعد غزوة إلا وتهاجمهم مدينة أخرى .. حروب ألفت ظلالها على فترات السلام القصيرة الهزيلة ، فأحالت خريطة بلاد اليونان القديمة إلى جذوات من نار وبحار من دم لا يكاد يجف .

وبينا معظم بلاد الإغريق تعوم في بحار الدم كانت مقدونيا في الشمال تتوحد على يد فيليب المقدوني الذي عرف الأمر في طيبة وتعلم الفنون العسكرية . وفي عهده وعهد ابنه لم تتوحد اليونان فقط ، بل امتدت إمبراطورية الإسكندر شرقاً إلى الهند وشملت آسيا الصغرى وفارس وسوريا ومصر . وبعد وفاة الإسكندر قسمت إمبراطوريته إلى أقسام ثلاث : مقدونيا وسوريا ومصر . وبموت الإسكندر بدأت اليونان ترنو ببصرها إلى عهد بركليس وأفلاطون . وتمثل اسبرطة وآثينا نوعين متميزين من الثقافة الإغريقية ، ويتخذهما وبموت الإسكندر بدأت اليونان ترنو ببصرها إلى عهد بركليس وأفلاطون . وتمثل اسبرطة وآثينا نوعين متميزين من الثقافة الإغريقية ، ويتخذهما المؤرخون والمربون نموذجين للحياة والتربية الإغريقية . وسوف أتعرض لهما بقليل من الإسهاب الذى يتناسب وحجم كتاب يتناول بالعرض السريع تطور الفكر التربوى .

### اسبرطة (١)

كان الغازى إذا أخضع مدينة لسيطرته أصبح السيد الحر ، أما الذين حلت عليهم الهزيمة فهم عبيد يأتمرون بأوامر الأحرار ، والحر هو من يفكر لنفسه والمتمتع بالحقوق السياسية وصاحب الأنشطة الرفيعة ، وهو الذى يتعلم ويحذق الفن والشعر والموسيقى والأدب . وقد غزا الاسبرطيون لاكونيا واستقروا في كبرى مدنها ( اسبرطة ) متسدين على البيريويكى والهيلوت السكان الأصليين .

---

(١) لشرح أوفى في التربية اليونانية والرومانية - انظر كتاب « التربية في الهجين اليونانى والرومانى » للاستاذة نعيمة حسن سليمان .

وبيريويكى تعنى « السكان المتجولين فى الإنحاء المجاورة » وهذا كان حالهم فقد تناثروا على مشارف اسبرطة فى مدن صغيرة بلغت حوالى مائة مدينة ، وكانوا أرقى من الهيلوت Helots وهم العبيد فقد تمتعوا ببعض الحقوق المدنية والسياسية وكونوا الطبقة المتوسطة التى بلغ عدد أفرادها حوالى ١٣٠,٠٠٠ فى حين كان عدد العبيد الهيلوت حوالى ٢٢٥,٠٠٠ أما الإسبرطيون السادة فكان عدد حوالى ٤٥,٠٠٠ سيد(١) . وكانت مهمة العبيد خدمة أسيادهم ، أما البيريويكى ومنهم ملاك وتجار وصناع فكان عليهم دفع ضرائب باهظة للإسبرطيين السادة(٢).

وبينما عاش الإسبرطيون السادة حياة ديموقراطية إلا أنهم كونوا طبقة متعالية فى أرسوقراطيتها على الطبقتين الوسطى والعبيد . واتخذ نظام الحكومة شكلا جمهورياً من وجهة نظر ، وشكلا ملكياً من وجهة نظر أخرى . فكان هناك ملكان وجمعيتان للمواطنين ، وفيهما كانت السلطة الفعلية للدولة . وأعلى الجمعيتين تكون مجلس الشيوخ ويتكون من ٢٨ عضواً كل منهم يزيد سنه عن ستين سنة ، ويتولى عضويته مدى حياته . أما الجمعية الأخرى فكانت تضم أعضاء فوق سن الثلاثين وصلوا إلى كرامتهم بالانتخاب ، ثم انتخب الأعضاء خمسة منهم يمثلونهم وسموا الـ Ephors .

وكانت سياسة اسبرطة تقوم على التفوق العسكرى لتظل للسادة السيادة على بقية السكان . ولهذا تكون نظامهم التربوى بهذه الفلسفة(٣) . ويرجع أن نظام التربية الإسبرطية يرجع إلى المشرع ليكرجس فى حوالى منتصف

(١) Mulhern, op. cit., p. 134.

(٢) McCormick, op. cit., p. 89.

(٣) منرو ، بول (ترجمة صالح عبد العزيز) : المرجع فى تاريخ التربية - جزء أول

القرن التاسع قبل الميلاد . وكان هدفها إعداد الفرد لمكانه في الدولة . فالولد يعد ليكون ذا كمال جسمي شجاعاً متحلياً بعبادات الطاعة العمياء للقانون ، وحتى يكون الجندي الذي لا يهزم ، متقشفاً وضابطاً لشهواته مخاطرأ ومتحدياً المشقات ، أما المرأة الإسبرطية فكانت تربي لتتصف بالترفع والنشاط في الحياة وكانت الدولة تمتلك الطفل منذ لحظة مولده ، وهي التي تحدد ما إذا كان هذا الطفل يستحق الحياة أو الموت ، ويحدد هذا القدر مجلس من المسنين ، فاذا أنسوا في الطفل ضعفاً أو هزالاً تركوه في العراء ، ثم يعودون إليه بعد فترة ، فاذا كان! قد تحمل الجوع والجو سمحوا له بالحياة ، وإلا فخير لهم أن يموت فلا ينمو مواطناً ضعيفاً .

ويسمح للطفل بالبقاء تحت رعاية الأم في البيت لمدة سبع سنوات ، ثم يرسل كل الأطفال إلى مؤسسات تديرها الدولة حيث يتولى أمرهم مدرب Paedonomos يعاونه بعض المساعدين . ويصبح الطفل عضواً في أسرة أكبر هي الدولة ، حيث يعيش مع غيره من الأطفال في ظل نظام قاس . ويأكل الأطفال سوياً ويلبسون ملابس متشابهة ، وينامون في معسكرات يغلب عليها طابع التقشف ... وكل شيء مشاع بينهم ، فكل شيء ملك للدولة ، ولم يسمح لهم إلا بار تداء القليل مما يستر الجسم ، وبالتغذى بالضروري ويقسم الأطفال إلى مجموعات ، تتكون كل مجموعة من أربعة وستين طفلاً ، وعلى رأسهم Eiren ولد اختير لشجاعته وحسن تصرفه . ويصف المؤرخ بلوتارك أولئك الصبية الذين لم يتجاوزوا الثانية عشرة فيقول : « كان كل غلام يظهر الخلق الحسن وحسن النصرف والشجاعة والإقدام بين أئداده يصبح زعيماً للجماعة ، وكان الباؤون يرمقونه بأعينهم ويطيعون أوامره ، كما يتحملون - بكل صبر - أي عقاب كان ينزل بهم . لذا كانت التربية تهدف إلى تمرين الأطفال على طاعة » .

وكانت حياة الإسبرطى تدريباً مستمراً للحرب ، فكان الواحد منهم ينام في المعسكرات حتى يبلغ سن الثلاثين ، ويأكل في المجلس العام حتى يبلغ سن

الستين ، وكان لا يسمح للفرد إلا بقدر قليل من المال والحاجات العينية ، مما يحتاجه لبعض الضروريات . وإذا كانت الدولة قد منحت كل إسبرطى حر قطعة من الأرض يزرعها ويفلحها له العبيد ، فإنها تطلبت منه أن يدفع لها مبلغاً في الشهر ، وإذا فشل فرد في تقديم ما يطلب منه طرد من الميس وحرّم من المواطنة . وكان يطلب من المواطن عادة إردبان من الشعير ، وثمانية جالونات من النبيذ ، وستة أو سبعة أرتال من الجبن ، وأربعة أرتال من التين المجفف ، وكمية معينة من اللحوم .

ولم تسنح للأطفال الإسبرطى فرص لتدريب العقل ، فقد غطت التربية العسكرية الجوانب الأدبية في مناهج التعليم ، بل لم يتعلم القراءة ولا الكتابة في مدارس الدولة إلا على أيدي مدرسين خصوصيين . أما أشعار هومر والأغاني الوطنية فقد اهتم المستواون بها على أساس أنها تدعو إلى الحماس وتوقظ الهمم أكثر من كونها مادة للتقدير الأدبي والفني . وإذا كان معظم الإسبرطيين قد جهلوا القراءة والكتابة ، فإن أفلاطون يبدي إعجابه بسرعة يديه الإسبرطى وسرعة رده ، ولو أنه لأول وهلة يظهر كما لو كان غيباً . وكان الفتي الإسبرطى يستمع إلى مجادلات ومحادثات الشيوخ أثناء تناولهم وجبات الطعام أو سيرهم في الطرقات .

وعلى أن الجانب الأكبر من التربية الإسبرطية كان مكرساً للتدريبات العسكرية والتربية الرياضية ؛ فكان الأولاد يمتطون ظهور الجياد ويمارسون السباحة يومياً ، ويقضون وقتاً طويلاً في التمرينات التي تقوى العضلات وتبني أجساماً مرنة وقوية ، وكان الخمسة الكبار Ephors يزورون معاهد التعليم بصورة دورية للتفتيش على سير الدراسة والتدريب . ويجلس الواحد منهم يراقب عن كثب كيف يؤدّب المعلم تلاميذه وكيف يجادلهم ويعاقبهم ، حتى إذا فرغ الدرس ولم يرض الزائر عن تهاون المعلم في عقابه تولى هو معاينة المؤدّب أو المعلم .

والقسوة والعنف كانا شعار التربية ، فالصبية يجرون ويقفزون ويتلاكون ( م ٧ - تطور الفسك )

ويتصرعون ، ثم قليل من الرقص والموسيقى ، ثم سباحة وتحمل مشافي ونحطى عقبات ، ففي بعض المناسبات كان الأولاد والشبان يضربون ضرباً مبرحاً أمام مذابح الإلهة أرتميس . ويسمح في المصارعة والملاكمة بأي أسلوب يمكن الفرد من التغلب على خصمه كقطع جزء من جسمه أو إحداث عاهة به .

ومع هذه الشدة فكانت هناك تربية خلقية تلازم هذه التمرينات ، ولعل أهمها تقديس وطاعة الرؤساء ، أما الأمانة ، والصدق فلهما معايير قد لا نرتضيها اليوم . والتواضع مطلوب ، فالصبية يمشون في الطرقات وأيديهم تمسك بأطراف العباءة وعيونهم شاخصة إلى الأرض . ولكن لا بأس من الكذب على غير الإسبرطين ولا بأس من السرقة ، وعلى السارق ألا يضبط وإلا أصابه الجلد والامتهان بتهمة الإهمال وعدم الحرص والفشل . فالسرقة والتلصص تدريبان على أعمال الحرب .. وكل تدريب يؤدي إلى نصر في الحرب فرحاً به عند الإسبرطين . وشرب الخمر إلى المثالة مرذول ، ولكي يدرك الإسبرطي الخمر مثالب السكر الشديد فكان يوثق ببعض الهيلوت العبيد ويرغمون على احتساء الخمر بكميات تلعب برءوسهم ويعرضون للسادة الأحرار !! وإذا زاد عدد العبيد فهذه كانت فرصة للتدريب على القتل ، فيطلق الطلبة إلى الطرقات والمنازل ليتمرنوا على فنون القتال ضد العبيد الغزل:

وخضع الإسبرطي للعقوبات البدنية حتى يدخل الشاب ملتحمقاً بفرقة الإفيبي Epebi أي الطالب الحربي بعد سن الثامنة عشرة ، حيث كان يتلقى تدريبات عسكرية متقدمة ، كما كان يعمل معلماً للأطفال ومشرفاً عليهم . وإذا فشل الأطفال في إجابات عن أسئلته كان رئيسهم Eiren يتلقى ضرباً مبرحاً ، وبالتالي يذهب هو ويضرب الأطفال الذين خذلوه بأخطائهم أو فشلهم ويتضح أن المعرفة العسكرية كانت تزرع في نفوس الإسبرطي منذ صغره ، حتى إذا ما كبر وأصبح بفرقة الإفيبي كان مؤهلاً لتلقى أعنف التدريبات العسكرية . ثم ينتقل إلى دراسة أكبر بعد اجتياز عده امتحانات عسيرة وشاقة . ويبقى في فرقة الميليرينس Milleirens عشر سنوات ، يصبح بعدها في سن الثلاثين

أى رجلا مكتمل الرجولة ، مواطناً ومحارباً ، وعليه أن يتزوج حينئذ .

أما البنات فقد عهدت تربيتهن إلى الأمهات ، وكن يخرجن حافيات لا يستر أجسادهن إلا ثوب واحد ، وخضعن أيضاً لتدريبات رياضية ، وتدربن على المصارعة والسباحة والجرى ورمى القرص والرمح . وكن يقسمن إلى جماعات ، كما هو الحال بالنسبة للبنين . وكان من رأى المشرع ( ليكرجس ) أن تظهر الفتيات من كل صفات الأنوثة المكتسبة كالحياء ، ولذلك فكن يرقصن عاريات تماماً أمام الرجال . ولكن بعد الزواج كانت المرأة الإمبرطية تتحجب وتلزم بينهما معظم الوقت في انتظار عودة زوجها . إن نظرة عامة على التربية الإمبرطية تبين أنها استغلت الأفراد لخدمة الدولة كل الاستغلال . فالفرد للدولة من ساعة مولده ، وهو يعد ليكون حامياً ومدافعاً عنها ، والبنات تعد جسمياً وخلقياً لتكثرن زوجة تقدم للدولة محاربين أصحاء أشداء . بل إن الرجل المسن كان يعبر زوجته لغيره من الرجال حتى تنجب للدولة أطفالاً أقوياء . وقد هيمنت الدولة تماماً على التربية وحققت ما أرادته من أهداف خلقت المواطنين القادرين على حمايتها وتحقيق مطامعها . أفراد أشداء لهم معاييرهم الخلقية التي ناسبت عصرهم ، متحمسون لوطنهم ومتعصبون له .. ولكن عندما حلت بأسبرطة الهزيمة تداعى هذا البنيان وطفت موجات من الانحلال الخلقى والفوضى بعد فترة طويلة من النظام والجمود . قد ضححت الدولة في أسبرطة بالفرد ، وفكرت الدولة للفرد ، وعندما حلت الساعة التي تحم فيها على الفرد أن يفكر لنفسه ، وجد نفسه عاجزاً .

وفي محاولة لتقييم التربية الإمبرطية نجد أن الخضوع للقوانين خضوعاً أعمى ساد حياة الأسبرطيين ، ودمغ هذه الحياة بجمود شديد يذكروننا بالجمود الذي عاناه المجتمع المصرى قبل ذلك بأكثر من ألف سنة ، وإذا كان الآلهة في مصر القديمة قد شرعوا عن طريق الفرعون وكبار رجال الدين ، فان قوانين ( ليكرجس ) الإمبرطية كان لها نفس التقديس والتبجيل . بل كان من حق الإله الدنيوى ( الفرعون ) في مصر أن يغير ، وأن يفسر الكهنة القوانين كيفما

شاعوا ، ولكن لا أخذ في اسبرطة كانت له هذه القوة .. بل لم يكن لأحد السلطة في اسبرطة حتى على تغيير عدد أوتار القيثارة أو طريقة طهو الطعام . وكان من نتيجة هذه التربية العسكرية التسلطية في اسبرطة أن طبقت الأفراد « بمخصال كانت سبباً في فشلهم فيما بعد ؛ فقد عزف عن الإسبرطيين أنهم لم يتعودوا الاعتماد على النفس أو توجيهاً ، كما أن قدرتهم على التفكير أو التخيل كانت محدودة وأنهم لم يتغذوا لمواجهة المشكلات ومحاولة حلها بتعقل وروية ، فلم يعط الإسبرطيون الفرصة لتدخل المسؤوليات ، بل إن الدولة وجهتهم في كل شيء ، ورسمت لهم طريق الحياة ولم يكن عليهم إلا الانصياع للأوامر والبعد عن النواهي » (١) وقد أدت هذه التربية إلى جذب وقحط في التراث الفكري وانحياز لحرية بالرأى وعدم قدرة الإسبرطيين على تكيف أنفسهم تبعاً لتغير الظروف .

## أيضاً

ولعل أهم ما كانت تهدف إليه التربية الآثينية ، بمقارنتها بشقيقتها المحاربة اسبرطة ، أن يسير الفرد في حياته بالحكمة التي يغفلها العقل في أدائه ما يلقي عليه من واجبات . على أن الدولة الآثينية تطالبت في مواطنها قوة الجسم والجرأة والإقدام في ساحة الوضى ، وما أكثر ساحاتها . ولكن آثينا لم تتبع ذلك الأسلوب العسكري الاستبدادى الذى اتبعته اسبرطة ، فقد قدست آثينا الأسرة على أساس أنها ركيزة في نمو شخصية الطفل وتشكيلها .. وتطلبت من الأسرة العناية بالطفل ، حتى إن مشرع آثينا الأعظم ( سولون ) أعفى الإبن من مساعدة أبيه إذا قصر هذا في تربيته عندما كان طفلاً . وقد اهتمت آثينا ، على عكس اسبرطة ، بتعليم الموسيقى إلى جانب التربية البدنية ، على أن المدارس كانت خاصة بملكها أفراد ، ولكنها تحت إشراف الدولة التي أشرفت أيضاً على تربية الأطفال في منازلهم .

(١) فتحه سليمان ، المرجع الأسبق ، ص ٢٥ .

وقد اعتر الآثينيون بأنفسهم اعترازاً كبيراً قائلين : إنهم كانوا خبير من في شبه الجزيرة اليونانية وأرقامهم وأعلامهم حكمة وثقافة .. أعلى من كل سكان اللويلات الإغريقية . ولم يبخل دارسو للثقافة الإغريقية في إسداء المديح للآثينيين لتقدمهم السياسي وإنجازاتهم التربوية . فقد أعطى الآثينيون العالم لأول مرة نموذجاً للديموقراطية ، على المستويين النظري والعملی :

وقد حكم الآثينيين ملك حوالي القرن العاشر قبل الميلاد ، ثم تحول اللقب إلى « أرخون » أى الحاكم ، وإن كان المنصب قد ظل وراثياً في أسرة معينة : ولكن سلطته الفعلية خرجت من يديه لتكون وديعة في جمعية عامة يهيمن عليها النبلاء .. ثم أصبح الأرخون ينتخب لمدة عشر سنوات ، نقصت إلى سنة واحدة عندما صار عدد الأرخون تسعة . وقد أعطى سولون في قوانينه المواطنين مجموعة من الحقوق تتفاوت حسب ثراء كل . وتحت حكم كليستينس في الأيام الأخيرة من القرن السادس قبل الميلاد بدأت الديموقراطية الحقيقية تنتعش .

وتكون المجتمع الآثيني من المواطنين والأجانب والعميد . وقد عدد السكان في القرن الرابع قبل الميلاد بواحد وعشرين ألف مواطن ، وعشرة آلاف أجنبي ، أما عدد العميد فوصل إلى ٤٠٠,٠٠٠ عبد ، أى حوالي عشرين عبداً كل مواطن حر (١) ولم تكن للعميد حقوق مدنية ، ولكن كانت هناك تشريعات لحمايتهم من عبث الأحرار واضطهادهم . أما الأجانب فلم يكن لهم الحق في الإشتراك في حكومة الدولة ولا تملك أرض ، وللأجنبي أن يعمل بالتجارة على أن يدفع ضريبة سنوية ، وقد يخدم أحياناً في الجيش أو البحرية . وكان العبد يعمل لسيد أو يعمل للحكومة أو لسيد آخر ، على أن يدفع لسيد جزءاً مما يتقاضاه . وعمل العميد في أعمال يدوية ، مما أضفى على هذه الأعمال مهانة كانت تثير تقزز السادة الأحرار الذين استمتعوا بوقت فراغ أتاح لهم الاهتمام بواجباتهم كمواطنين ، ومنها حضورهم ساحات المحاكم

الجمعيات العمومية والخصوص في سير الناس من يهتمم التحدث عنهم ،  
ونقدهم والتشهير بهم إذا لزم الأمر . وكان السيد الحر يمضى معظم وقته في  
السوق أو الساحة Agora ، ولا يذهب إلى بيته إلا ليأكل ويستريح وينام .  
وما شئون البيت فقدعهدها إلى زوجته والعبيد :

وكان الآثني غيوراً على زوجته وابنته ، وتزوج البنات في سن الخامسة  
عشرة أو أقل من هذا السن أحياناً ، أما الرجل فلا يتزوج غالباً إلا بعد سن  
الثلاثين . ونساء الأحرار قلما يكن يخرجن إلا باذن من الزوج وبجراسة عبد .  
وتمضى الفتاة وقتها في تعلم الفنون المنزلية تحت إشراف أمها ، مثل الغزل  
والنسيج والحياكة وأشغال الإبرة ورعاية المريض ، والاهتمام بجمالهن ومظهرهن  
وكانت ملابس الرجال والنساء متشابهة تقريباً ، ترتدى النساء ما يشبه  
الجلباب حيث يصل إلى أقدامهن ، ويرتديه الرجال ولا يكاد يصل إلى تحت  
الركبة ، وخاصة للفلاحين والصناع والحاربين ، وفوق الجلباب كانوا يرتدون  
عباءة ، وبالقدم صندل يخلع عندما يجلس الفرد لتناول الطعام . وقد غطت  
الفتيات وجوههن بحجاب شفاف ، كما استعملن حشوات لتغطية عيوب  
الجسم أو مشدات لإخفاء الترهل ، وعلاقات للصدر ، وامناعات لحصل  
الشعر المتردة ، وأقراطاً وعقوداً وأساور حول المعاصم وحول أسفل  
السيقان ، وعرفت وجوههن أصبغاً شتى لتزيد الجميلة جمالاً ولنصلح  
تجاعيد الزمن أو لتحضن ما أهملته الطبيعة ... وكثيراً ما حملت الفتيات  
والسيدات مظلات وقاية من شمس أو مطر أو استكمالاً لرشاقة ، ويعبثن  
بمراوح يستجدين بها بعض النسومات أو يحركنها كجزء متمم للأناقة . أما الرجال  
فقد أرسوا خاتماً حول أصبع ، مستعينين بهي لم تكن ليتوكأ عليها الرجل  
في مشيته المثثة التي تجاذب فيها أطراف الحديد والنقاش مع غيره .

وذهب الأطفال إلى مدارس أدارها أفراد مند الصباح الباكر ويستمرن  
بها حتى تغيب الشمس ، وقد بدأ الإشراف الحكومي على المدارس منذ  
تشريعات سولون عام ٥٩٤ ق . م . فقد أصر سولون على ضرورة تعلم كل

طفل مهنة ، كما حدد ساعات الدرس ، وكذا الشروط الواجب توفرها فيمن يقوم بمهنة التربية وسنه . وكمن من التلاميذ يستوعبهم إشراف المربي الواحد . وكان سولون هو الذى أدخل دراسة ( هومر ) فى المدارس .

هدفت التربية الآثينية إلى تكوين تناسب بين روح مرهقة تحمس بالجمال وتقدر الأدب ، وجسم رشيق قوى ، هدفت إلى تكوين الرجل الكامل جسماً وعقلاً وخلقاً .. الجندى الذى يذود عن الوطن ، والمواطن القادر على الإسهام فى ثقافة بلده بتتبع كل جميل فى وقت السلم . كانت تربية لاستخدام وقت الفراغ فى نمو متزن للفرد ، واستخدام مثير لإمكاناته الجسمية والعقلية والروحية . وعلى الوالدين فى بواكير الطفولة مسؤولية كبيرة فى هذه التربية فيسمعان الطفل قصصاً وأساطير ويدللانه ، حتى إذا كبر بدأ الطفل يعرف الشدة ، والضرب بالنعال والعصى ... وأكن لا يفتقد العطف والحب منها . ويذهب الطفل إلى المدرسة حوالى السابعة من عمره . ويقسم اليوم المدرسى بين الباليستريا Palaestra أو الجمنازيوم والديدسكاليون Didaskaleion أو مدرسة الموسيقى ، وفى الجمنازيوم يدرّب التلاميذ على كل التمرينات الرياضية كرمى القرص والرمح والمصارعة والجري والرقص والسباحة وتديك الجسم بالزيوت ليحتفظ برشاقته ، أما مدرسة الموسيقى فقد عنى بها أيام الإغريق دراسة الأدب والتربية الخلقية . وفى المدرسة يتعلم التلاميذ القراءة والكتابة والحساب إلى جانب الأغاني الوطنية والشعر .

وكان يرافق التلميذ فى ذهابه إلى المدرسة عبد مسن اضطرت له شخوخته إلى عجز عن أعمال تحتاج إلى مجهود فعهلوا به إلى التلميذ يصحبه فى غدوه ورواحه من المدرسة . وكان هذا البيداجوج pedagogue يقوم بتقويم أخلاق التلميذ ويراقب سلوكه وعاداته فى الحديث والمشى والمجلس والمأكل ومعاملة الناس .

أما المربون فى المدرسة فكانوا يأخذون معاشهم مما يدفعه التلاميذ . وقد يستطيع مرب بما يجمعه أن يجمع التلاميذ فى فصل دراسى . لئلا غيره فكان يعقد حصصه فى الهواء الطلق ... فى ظل معبد أو فى أحضان تعريشة وارفة

الظلال ... أو في مكان هادئ على قارعة طريق لا يطرقة كثير من المارة . . . ،  
المهم وجود المربي والتلاميذ والمادة التي ينقلها المربي إليهم . وكانت الغالبية  
من المربين يأخذون أجرهم عيناً لا مالا ، في آخر يوم من الشهر بعد أن ينحصر  
الأب أجر الأيام التي تغيبها ابنه . وكان لأبناء الأغنياء امتياز تلقى التربية على  
أيدي أفراد عرفوا بغزارة العلم والحكمة . وكانت لهم شهرة واحترام بين  
سكان آئتنا .

وقد اتبع الإغريق في تدريس القراءة الطريقة التركيبية ، فیتعلم التلاميذ  
حروف الهجاء أولاً ثم يكونون منها مقاطع ثم كلمات . ثم يبدأ التلاميذ الكتابة  
على الرمل ، ثم على الشمع ثم على جلد رقيق مستخدمين قلماً من الغاب وحبراً  
مصنوعاً من الصمغ والصنّاج ، كما كان يفعل قدماء المصريين ، ولكن هؤلاء  
استخدموا ورق البردي كما استخدموا لوحة العدد في تعلمهم مبادئ الحساب ،  
وكانت الحروف هي المستخدمة بدلاً من الأعداد ، كما استخدمت الأصابع  
في عمليات العد داخل المدرسة وخارجها حيث يوضع أصبعان متجاوران  
للدلالة على رقم معين . ودرس التلاميذ بعض المعلومات الجغرافية من دراستهم  
لإلياذة هوومر . أما الشعر فكان يستظهر ويسمع بمصاحبة الموسيقى .

وجاء إلى سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة كان الشاب الآثيني ينتقل  
من الباليسترا إلى الجمنازيوم العام بعد أن يتم المدرسة الابتدائية وكانت ثمانى أو  
تسع سنوات . وكان أبناء غير ميسوري الحال يتوقفون عند التعليم الابتدائي  
ثم يتجهون إلى بعض الصناعات للتكسب وقد عرفت ساحتان عامتان هما  
الأكاديمية والليسيه Lyceum وخلصنا لارتباطهما بكل من أفلاطون وأرسطو  
على الترتيب . وفي هذه الساحات اتخذت التمرينات الرياضية طابعاً قاسياً إذا  
قورنت بالباليسترا وكانت الدولة تملك هذه الساحات ، ويعمل فيها موظفون  
رسميون ومهمتهم إعداد الشباب لمتطلبات الدولة .

هذا ، ولعلنى أجد أخيراً في أن أنقل الوصف الكامل لتربية الطفل الآثيني

كما رأها أفلاطون(١).. تبدأ تربية الطفل وتوجيهه في سنى حياته الأولى ، وتستمر طيلة حياته . ومنذ أن يبدأ الطفل يميز من حوله تتنازع الأم والمربية والأب والمرشد لتوجيهه . ولا يمكنه أن يقول شيئاً دون توجيه منهم بأن هذا حسن وذاك سيء ، وأن هذا مشرف وذاك عار ، وهذا مقدس وذاك غير مقدس . إعمل هذا وتجنب ذلك ، فاذا أطاع كان طيباً وحسناً ، وإذا لم يطع عرض نفسه للتهديد وللعذاب الشديد فيلكم كما لو كان جماداً . وبعد ذلك يرسل إلى المدرسين الذين يطلب منهم الإشراف على سلوكه قبل أن يشرفوا على تعليمه القراءة والموسيقى ويعمل المدرسون ما يطلب منهم ، وإذا ما تمكن الطفل من معرفة الحروف الأبجدية وبدأ يفهم ما هو مكتوب ، أمده بمؤلفات أعظم الشعراء ، تلك المؤلفات التي عليه أن يقرأها في المدرسة ، ويجد التلميذ بين ثنايا الأشعار الكثير من النصائح والكثير من القصص ومفاخر مشاهير الرجال القدماء ويطلب منه حفظها عن ظهر قلب حتى يعمل على تقليدهم ويحدث نفسه بالرغبة في الوصول إلى ما وصلوا إليه من مكانة رفيعة . وبعد ذلك يتسلمه مدرسو الموسيقى ويصلحون من مزاجه بحيث يصبح معتدلاً ولا يقع مطلقاً في المعاصي . وعندما يعلمونه استخدام الآلة الموسيقية تعرض عليه أشعار مشاهير الشعراء أصحاب الأغاني الشعرية . وينشدون هذه الأشعار على نغمات الموسيقى ، ويجعلون من توقيعها وأنغامها مزيجاً تألفه أرواح الأطفال حتى يطبعوهم بطابع الظرف والاتزان وتقدير الرمن ، ويصبحوا قادرين على الكلام وعلى العمل . ذلك أن حياة الإنسان في جميع مناحيها في حاجة إلى الانسجام والتوقيت . ثم يرسل الطفل إلى أستاذ الألعاب الرياضية حتى يتمكن الجسم من أن يلبي نداء العقل الفاضل وحتى لا يضطر الشباب في المستقبل نتيجة ضعف أجسامهم أن يلجئوا إلى الحرب من الجيش إبان الحروب : هذا هو ما يفعله القادرون من التلاميذ مادياً وهؤلاء هم الأغنياء وحدهم وهم : يبدأون عملية التربية في وقت مبكر جداً وينتهون منها في سن متأخرة .

---

(١) نذرو ، بول : المرجع الأميق ، ص ٥٦ - ٥٥ .

وبعد أن يفرغ هؤلاء التلاميذ من أسانذتهم ترغمهم الدولة على تعلم القانون حتى يعرف كل مواطن ماله وما عليه وحتى يعيش حياة واقعية مرسومة لا حياة خيالية ، كما كانت الحال في تعلم الكتابة والقراءة إذ كان مدرس الخط يرسم خطوطاً نموذجية ويجعل الطفل يتبع هذه الخطوط ... فكذلك كان تدريبه على القانون، وكانت المدينة تضع قوانينها وهذه كانت من اختراعها ومن عصارة أفكار رجال قانونها القدماء وكان الغرض من هذه القوانين أن يعرفها الشباب قادة كانوا أم محكومين ومن يخالف هذه القوانين فلا بد من إصلاحه . أى استدعائه للمحاكمة .. وهذا ينطبق على هذا القطر كما ينطبق على غيره من الأقطار .

وفي حوالى سن الثامنة عشرة ولمدة سنتين ، يقسم الآثيني يمين الولاء لدولته ، ويتمرن على فنون الحرب ومعيشة الجندي ، وغالباً ما تكون في حراسة الحدود ، ويتدرب على استخدام الأسلحة (الثقيلة) كالدرع وإلقاء الرماح ، وفنون التكتيك العنيفة . وكان يطلق عليه في هذه الفترة اسم Ephebe أى الشاب . وبعد انتهاء السنتين يتقدم إلى « الجمعية العامة » ويتقبل من الدولة ربحاً ودرعاً ويصبح مواطناً . ثم يقسم أمام المواطنين كبار السن أن يكون مخلصاً للقوانين والعرف ، وألا يهجر دولته وأن يظل على الدوام مستعداً للذود عن حياض وطنه ، وأن يعمل على تنميته بثقيف نفسه وبالنجاح في أعماله الخاصة . وقد كانت أمام الآثيني الحر الفرص لاستمرار ثقافته في النحت والتصوير والفن المعماري والدراما .

وجلس الآثينيون في ظلال الأشجار يتجادلون ويناقشون في كل ما يهم دولتهم وطرقت أبواب الأدب والفن والحكومة والسياسة والفلسفة . وكانت هذه الجلسات الظليلة ، والمناقشات الممتعة فاتحة التذكير الذى نما وتطور ، وما زال يؤثر في أفكار العالم إلى اليوم .

أثينا في عصر الانتقال : (من حوالى ٦٠٠ ق . م . إلى الغزو المقدوني في

٣٣٨ ق. م) . كان من نتائج تربية آثينا في عصورها القديمة أن اكتمل نمو الفرد وظهر التقدم القوي بصورة لم ير التاريخ لها مثيلاً من قبل . وقد بلغ هذا العصر ذروته أيام بركليس .. وبدأ اتجاه نمو تمجيد الفردية إلى درجة أدت فيما بعد إلى أن أصبحت الدولة في خدمة الفرد . وترجع أسباب التغيير في هذا الاتجاه الخطير إلى :

١ - عوامل سياسية : فقد استبدلت قوانين سولون بدستور ديموقراطي من وضع كليستينز عام ٥٠٩ ق. م ومنح كل سكان آثينا الأحرار لقب « مواطن » وأصبح من حق « الجمعية العمومية » نفي كل مواطن خطر على الصالح العام عن طريق الاقتراع السري . وقد استطاعت آثينا هزيمة الفرس ، وتزعم حلف ديليان عام ٤٧٧ ق. م ، وتحول الحلف إلى إمبراطورية وبدأ الذهب يدخل بوفرة خزائن الديموقراطية . وتمتع الأفراد بحريات أكثر للعمل وللكسب . على أن الجديد في سيطرة آثينا أنها لجأت إلى أساليب الإقناع والديبلوماسية أكثر من التجاها للقوة للاحتفاظ بسيادتها . وقد أدى هذا إلى الاهتمام بتكوين المواطنين القادرين على المحادلة والإقناع .

٢ - عوامل اقتصادية وسياسية : مدت آثينا ذراعها باتساع رقعة زعامتها وإرسالها مندوبيها وتجارها والمتكلمين المحادلين من أبنائها يحملون معهم فكرة التآخي والوحدة بين الشعب الإغريقي المقسم إلى دويلات عديدة . وقد ظهرت طبقة من المعلمين اسمهم « السفطائيون » أو الرجال الحكماء أو المدرسون المتجولون يعملون حيث يجدون تلاميذ قابلين دفع ثمن دراستهم . ومن التجار والرحالة والزوار والسفطائيين والسفراء واتصالات بين الدويلات بعضها بالبعض الآخر ، ثم فوق كل هذا التسامح في المناقشة وإبداء الرأي مما أدى إلى نقد للأفكار القديمة ، من كل هذا وذاك أصبحت آثينا قلباً كبيراً ينبض بالحياة الفكرية ، ومركزاً مضيئاً للتفكير الحر .

٣ - العوامل الأدبية : وتتمثل في الدراما بشقيها المأساة والمهابة . وقد عرفت آثينا أدب المأساة ( التراجيديا ) الذي يدور حول مشاكل دينية

وأخلاقية واجتماعية ، وشخصياتها من الآلهة والأبطال الخرافيين ، وتدور موضوعاتها حول الصراع بين الواجب والهوى . ثم بدأت المزيات (الكوميديا) تنتشر في النصف الثاني من القرن الخامس وتهاجم في نقد ساخر المظاهر الخادعة من غش وسفه وتبذير وفساد ، وكان هذا دليلاً على غلبة الميول الشخصية على الواجب في مضمار الحياة العملية .. والأدب عبر عن الواقع ، والواقع كان يؤكد الفردية . ولذلك فإن التربية أكدت الفردية .

٤ - العوامل الخلقية والدينية : لم يلعب الدين في المجتمع اليوناني نفس الدور الذي لعبه في المجتمعات الشرقية ، فلم يكن أساسياً لتقدمهم الاجتماعي ولكنه مع ذلك أمد الحكومات ببعض المساعدة وزاد من قدسية الأسرة وخط للناس طريقاً للحياة ليس قوامه الراحة ولين العيش والمتعة الشخصية أو العظمة الذاتية ، ولكن العمل للصالح العام (١). ثم بدأ الناس ينبذون الاتجاهات القديمة والخرافات ولم يعد مستقبل الإنسان في رأيهم مسيراً بارادة الآلهة أو رغبة السماء ، كما زال الاعتقاد في تدخل الآلهة في حياة البشر . ثم نشب الصراع بين المحافظين على التقاليد والنظم وبين المتشككين فيها الذين عمدوا إلى هزها هزاً عنيفاً .

٥ - العامل الفلسفي : وكان لابد من طريق لتفسير الكون وما فيه بعيداً عن التفسيرات التي أوردتها الأساطير والحكايات الخرافية ، وخاصة بعد أن انكشف الغطاء عن الآلهة وقدراتها . وأورقت شجرة الشك التي تولاهها السفسطائيون ، شك في كل ما جاء به الفلاسفة السابقون مثل هيرقليط وزينو ، بل إن جورجياس أنكر وجود الأشياء قائلاً : إنه إذا فرضنا وجودها فليس من الممكن معرفتها ، وإذا فرض أنها كانت موجودة ومعروفة وأمكن معرفتها ، فن غير الممكن لإيصال العلم بها إلى الغير . وتفشى بين الشباب الاعتقاد بأن الإنسان أو الفرد هو مقياس كل شيء .. وهذا يعني أن معيار الصدق ومقياس الحقيقة وطبيعة المعرفة أمر ذاتي . كما أن الفضيلة والحكمة

(١) مغزو ، بول : المرجع السابق - ص ١١٧ .

يمكن الوصول إليها عن طريق التفكير أو المعرفة لا عن طريق التقاليد الموروثة (١).

وقد تزعم حركة التمرد على التقاليد جماعة السفسطائيين ، ولم يكونوا من أبناء آئتنا فقط ، ولكنهم يونانيون متجولون احتكروا بكثير من الحيوانات اليونانية والشرقية ودرسوا عن القوى الطبيعية وظواهرها والحياة الاجتماعية بحساسنها ومثالبها والحياة السياسية بقوتها وضعفها . وكانوا خطباء مفوهين ومناقشين مقنعين ، وسرعان ما جذبوا إلهم الشباب الذي شاقه تعلم الخطابة والبلاغة وأصول الحوار والمناقشة . ولكن المحافظين من المقيمين على التقاليد هاجمهم على أساس أنهم يدعون المعرفة في كل شيء ، وأيضاً لأنهم يتقاضون أجوراً لقاء الخدمات التي يقدمونها للشباب ، ولذلك فقد آتهم بالإلحاد وتعايم المبادئ والأخلاقية . ويدافع السفسطائيون عن أنفسهم قائلين إنهم يناقشون الأخلاق والدين من وجهة نظر تختلف عما ألفه المحافظون والرجعيون أصحاب الأفكار المصطبغة بالتعصب والتزمت ، فليست هناك كما قال فيلسوفهم بروتا جوراس أفكار ولا مقاييس عامة .

وبانتشار الأفكار الجديدة كان لابد للتربية أن ينالها تغيير ، فان الفترة التي كان يقضيها الشاب الآثيني بين سن ١٦ سنة إلى ١٨ سنة والتي كانت تركز للتربية الرياضية العنيفة أصبحت تركز للتدريب العقلي الراقى . فيجمع السفسطائيون المريدون من الشباب في أى مكان .. في الطريق .. في الملعب .. في غرفة ، ويتلقى الشباب ضروب المعرفة .

وانتشرت الاتجاهات الجديدة التي ولدها السفسطائيون في المدارس الابتدائية فأصبحت التربية تعمل على تنمية اعتداد التلاميذ بأنفسهم واللباقة في الحديث والمرح والحركة في السواك . بل تغير عدد أوتار القيثارة واستخدمت آلات موسيقية جديدة كالناي ، وقات الرياضة البدنية ، واستخدم ماء دافئ في الحمامات ... بهذا بدأ العنف والشدة يتسر بان تدريجياً من حياة الأفراد .

غير أن هذا اللون من التربية أدى الى انتشار اللامبالاة بين الأفراد  
وانحلال خلقي وتفكك في روابط الأسرة وسعى مستمر وراء المال وجمعه .  
ووقف نفر من الرجال يرون هذا الضياع والسموط ويتطلعون الى المعابد  
الضخمة وإلى المسارح التي شهدت روائع سموكليس ويوريبيديس وأرستوفان..  
ثم إلى بقايا أسطول جبار هزت به آثينا إمبراطورية فارس العاتية .. يرون كل  
هذا أصبح في أيدي أجيال غابت عنها الأخلاق التي شيدت ذلك المجد .  
ثم شمس أشرقت محاولة تبديد الظلمات : سقراط ، وأفلاطون ،  
وأرسطو .

## من فلاسفة الإغريق

في طبيعة العملية التربوية التغير ، بمعنى أن التربية ليست جامدة ولكنها تتشكل وتتطور حسباً تلمية الظروف ، وهذه الطبيعة المتغيرة تحتم الحاجة إلى علامات للطريق لتوجه أنشطة التربية ، وتلجأ هذه العلامات إلى الفلسفة تستوحى منها . ولأن التربية تهتم بما سيكون عليه الإنسان فعليها أن تتساءل : ما أهداف هذا الإنسان ؟ ثم تتساءل عن ماهية الخير ، ما هي ؟ وهذا ما نبحث فيه الفلسفة تحت عنوان الأخلاق . ولكن كيف يتأتى للإنسان أن يعرف الخير ؟ ومتى يستطيع الإنسان التأكد من أنه يعرف ؟ بل ما المعرفة ؟ وكيف يتأكد المرابي من الصدق ؟ وما الحق ؟ وهذا فرع آخر تبحث فيه الفلسفة عن المعرفة . وثمة مشاكل أخرى من نوع مختلف ، فما طبيعة العالم الذي تمارس فيه التربية ؟ هل هو هائج متحرك أو راكد ساكن ؟ هل من الواجب أن يتعلم الإنسان ليومه أو لغد آت في المستقبل ؟ ثم ما طبيعة الطبيعة البشرية للمتعلم ؟ وهذه أسئلة تتعلق بالوجود أو الواقع . هذه وغيرها من المسائل هي التي تكون مشاكل فلسفة التربية .

ويرى البعض (١) أنه لا يوجد شيء اسمه فلسفة التربية ، وإنما توجد فلسفة ، فوجهة نظر الفرد عن المدارس والتدريس إن هي إلا امتداد لفكرته عما يحيط به . ويرون أن فلسفات التربية هي قرارات عن تضمينات الحياة فيما يختص بتنشئة الفرد . ولسنا بصدد مناقشة جدلية عن تسمية ما ، ولكن الذي يهمنا أن نقرر أن الفلسفة تهتم بأمور الحياة والموت ، وتطرح أسئلة عديدة محيرة ومقلقة لمعلوماتنا عن الإنسان والتاريخ ، ولكنها أسئلة لا يمكن تجاهلها طالما أن الثقافات تتعرض لعقبات وبديلات تدفع الناس للتفكير ، ثم يسلكون بناء على تفكيرهم .

---

Sayers, E.V. and Madden, W. : Education and the (1)  
Democratic Fatih, p. 3.

والتربية هي الأخرى تتعرض للمشاكل والعقبات والبديلات ونواحي الاختيار ، فهي عامل مشترك في كل أوجه الثقافة البسيط منها والمعقد . وهي بهذا لا تستطيع أن تتخلى عن الفلسفة ، كما لا يمكن للثقافة أن تتجاهل الفلسفة .

ما الفلسفة ؟ هي تعبير عن المعتقدات ووجهات النظر . والسؤال هو متى نتفلسف ؟ كثيراً ما حاولت أنت وغيرك أن تصوغ في تعبيرات من خبراتك آراء معينة تهما كاعتقادات عن الدين ، عن الحب ، عن حرية الرأي ، عن السياسة .. الخ ، وكل منها تحوى أسئلة مثيرة للتفكير ، كما تثير اهتمام الكثير من الناس في كل مكان . وتوجد في المجتمعات آراء مختلفة يتبناها أو تصدر عن أفراد يحاول كل أن يعبر عن رأيه في موضوع ما . هذا التعبير عن الرأي قد نطلق عليه فلسفة أو أي اسم آخر ، ولكن يحق لنا القول إننا جميعاً نتفلسف (١) عندما نحاول أن نعبر عن الأشياء التي نعتقد فيها والمربطة بحياتنا وعلاقتنا بغيرنا وجماعة المربين كجماعة في المجتمع لها معتقداتها وآراؤها التي تسعى إلى استخدامها وتحقيقها ، فعندما يتفلسفون عن المدارس فانما هم يركزون على ناحية مهمة تهم معظم أفراد الشعب . على أن بعض المربين لا يسمون هذه المعتقدات بالفلسفة ، قائلين : إنهم ذو وعقول عملية ، بل إن بعضهم يؤمن بما يسمى « علم التربية » كتحد صارخ لما يذكر عن فلسفة للتربية ، أو فلسفة على وجه العموم .

ومع ذلك فالفلسفة لا تنفصل عن خبرة الحياة ، وهي متضمنة فيها ولا يعبر عنها بشكل ظاهري ولكنها موجودة وراء تفكيرنا وتصرفاتنا ، بل هي معنا في أداء واجباتنا اليومية . فكل فرد له وجهة نظر ، وفي كل وجه من أوجه الحياة المادية أو الروحية أو العادية أو المهنية نؤمن بأشياء معينة عن المناشط التي نؤديها .

وفي الحقيقة إننا لا نستطيع أن نعمل دون معتقدات نؤمن بها ونسلك على

هدايا ، فالتاجر مثلاً يعمل ويتصرف ليحصل على ربح ، وخلف كل تصرفاته تكن هذه الفكرة . كما أن خطيب المسجد مؤمن بالإسلام وتعاليمه . فلا يعيد النظر في هذا الإيمان كل يوم جمعة قبل الصعود إلى المنبر . وكذلك المربي يحدد سلوكه وجهة نظر معينة عن التربية .

كل منا إذن له فلسفة وبنسب ، وإذا كان هذا حال المدرس فيجب عليه أن يتفهم بعض الآراء الفلسفية التي قد يقتنع ببعض منها اقتناعاً يجعله يؤمن بها ، ومن ثم تشكل وجهة نظره أي فلسفة . والجدير بالذكر - بل ما يجب أن يؤكد عليه - الحرص في تحيّر وجهات النظر الفاسدية ، لا يكون شاذاً غريباً عن ظروفنا الاجتماعية ، فقد يحاو لبعض أن يتخير غير المؤلف حتى يتحقق له الظهور بين غيره وأترانه . إن إعمال العقل والتفكير المتزن أمران لازمان للباحث عن فلسفة للتربية يؤمن بها ويسلك على هديها .

## السفسطائيون وسقراط

اهتم الإغريق في القرن الخامس قبل الميلاد بمشاكلهم التربوية ، فقد بدأ بعض المفكرين يفحصون طرائق الحياة والنظم الاجتماعية التي عاشها الإغريق قروناً طويلة ، ولاح لهم أن ثمة تغييرات قميئة بالحدوث . خاصة بعد الحروب التي خاضوها والانتعاش الاقتصادي الذي فاض عليهم ، كان لابد إذن من تعديلات اجتماعية ، فالنظام الموجود وقتئذ أصبح لا يناسب ما طرأ على المجتمع من تغييرات . وتطلّعوا إلى التربية ونظامها . كيف يتعلم الأحداث ؟ وماذا يتعلمون ؟ إن العادات والتقاليد القديمة أصبحت غير مناسبة ، كما أن الاتجاهات الجديدة لا ترضى جميع المواطنين ، كان هذا هو الموقف الذي مهد الطريق للفلسفة لتقول رأيها .

وكان السفسطائيون هم أول من تصدوا لمشكلات النظرية التربوية التي مخضت عن القلق الاجتماعي . وكانوا من أشد المهاجمين للنظم القديمة التي لرنمت في أحيضان الغالبية ، وكان ملاحظهم المتكبر في إطار من احتياجات الأفراد الذين ذهبوا إليهم طالبين العلم والمعرفة ، وقالوا : إن الإنسان هو مقياس الأشياء، ثاروا على التقاليد القديمة التي كانت هي مقياس الأشياء . ودفع لهم طلاب العلم ثمن ما يتعلمونه ، غير أن ما يؤخذ على السفسطائيين أنهم يدافعون عن وجهة نظر تتناسب مع من يدفع لهم ، فقد يؤيدون رأياً في وقت ، ويؤيدون نقيضه في وقت آخر .

وقد جذبت طريقة السفسطائيين الشباب المتحمس . وأغضبت المحافظين وكبار السن ، وقد احتقرهم البعض لأنهم اتخذوا من العلم سلعة يبيعونها . وخافهم الكثيرون لما في آرائهم من ثورة على القديم والمتعارف عليه . ومع ذلك فقد هرع إليهم الشباب لما اتسمت به آراؤهم من حرية وانطلاق ، ولما أضفوه على الفرد من تمجيد وإعزاز ، فقد عملوا على تحرير العقل من الجهالة والروح من الخوف ، والجسم من الوهن ، لقد عملوا على نمو الإنسان ككل ،

ونسب إليهم المناصرون أنهم كانوا دعاة الحرية البشرية (١) .

وكان السفسطائيون يعلمون الحساب والهندسة والفلك والتاريخ الطبيعي والنحو والبيان والتاريخ والأساطير والمنطق والسياسة والأخلاق وفقه الدين والرسم والموسيقى والتكتيك الحربي ، ولكنهم ركزوا على البيان ، أما بقية المواد وغيرها فكانت تهدف إلى مد المتكلم بحصيلة من المعلومات تفيده في مناقشاته . ولم يعلم السفسطائيون المنطق حرصاً على معرفة الصدق والحق ، ولكن للفوز في مناظرة أو مناقشة كلامية . وهذا ما سمي بالسفسطة . وكانوا ينكرون وجود الموجود أو الحقيقة الموضوعية ، وأن رأى الفرد هو الصدق الوحيد ، أليس الإنسان هو مقياس الأشياء ؟

ولكن المحافظين وأنصارهم ردوا على هجوم السفسطائيين قائلين إنهم جماعة من المنافقين الذين يتذبذبون في أقوالهم حسبما يدفع لهم ، وهاجموا طريقة السفسطائيين القائمة على التفكير ، منكرين على الإنسان قدرته على الفضيلة أو الكرامة عن طريق الطرق العقلية والجدل . وأكد المحافظون أن معيار الفضيلة محددته أشراف القوم بما يسلكونه . والفضيلة في نظرهم تورث ويمكن تعلمها لمن يعيش مع الأشراف متلمذاً عليهم في سلوكهم ، فاعلا النبيل من الأعمال ، ولكن لا يمكن تعلمها عن طريق التفكير والذكاء . ومعنى ذلك أن الأسلوب الديموقراطي السفسطائي لتعليم الفضيلة لجماهير الشعب - كان لا بد وأن يفشل في رأى علية القوم .

وظهر الصراع بين المحافظين وآرائهم وبين السفسطائيين وآرائهم ، صراع بين أرسطراطية وديمقراطية ، وقد أولى سقراط ( ٤٦٩ - ٣٩٩ م ) (٢) هذا الصراع اهتمامه الكبير ، وهو أعظم مفكرى آئيننا في القرن الخامس . وقد نشأ سقراط نشأة متواضعة ، فكان متجهاً بحكم نشأته ناحية الديموقراطية . وقد رأى سقراط الحاجة إلى تربية من نوع ممتاز ، تربية إنسانية متجهة إلى الإنسان

(١) Mulhern, op. cit., pp. 144-149.

(٢) تحديد سنة تولده سطرط فيها أنوال كبيرة ، وإن كان عليه أنه ولد عام ٤٦٩ ق.م.

ويكون موضوعها الرئيسي الجوهر الروحي للإنسان . ولكنه لم يقصد من هذا ما قصده السفسطائيون بقولهم إن الإنسان مقياس كل شيء ، ولكنه قصد إلى القول بوجود أن تكون المعرفة مستقلة ، أي أن عقل الإنسان يجب أن يبحث في الأشياء باستقلال وحرية كاملة ، وأن يحكم كل ما هو موروث . فلا قيمة للأفكار أو العقائد من حيث هي قديمة أو حديثة ، ولكن تتأني قيمتها من حيث أنها تعبر تعبيراً صحيحاً عن حقيقة الأشياء . ويختلف سقراط عن السفسطائيين في أن « الأحكام التي يصدرها العقل أحكام موضوعية صادرة عن طبيعة الأشياء نفسها ، وليست أحكاماً صادرة عن الهوى الفردي كما انتهى إلى ذلك السفسطائيون » (١) .

أما عن منهج سقراط الفلسفي فكان يبدأ بأدراك الإنسان لنفسه ، أي يبدأ البحث بأدراك الإنسان لذاته لكي يعلم الفرد هل لديه علم صحيح أو أن ما عنده إن هو إلا علم مشوه ، أو أنه جاهل تماماً . وكان سقراط يعمل على أن يثبت لتحديثه أنهم جهلة ، ومن الجهل تتكون النقطة الأولى للبحث الفلسفي . ويظهر سقراط جهله بالموضوع ، ثم يلقي أسئلة قد تظهر لهم أنها ساخرة ولكنها تنهي باثبات أنهم إذا علموا شيئاً فهو غير صحيح ، وكثيراً ما كان يثبت للمتحدث أنه يناقض نفسه . ومن الركائز التي تركز عليها قوة سقراط أنه في محاولته للبحث عن الحقيقة ، حاور غيره من ادعوا العلم ، وباستخدام طريقته كشف أنهم لا يعلمون ، ولكنهم يدعون العلم ، أما هو فيعلم أنه جاهل ، أو هو يعلم بأنه لا يعلم ، وهذا علم صحيح .

ويبدأ سقراط خطوة ثانية وهي التوليد— وكان سقراط يقول في هذا المعنى إنه يحترف صناعة أمه ، وكانت قابلة ، لأنه يولد نفوس الرجال — فيسأل من يحاوره عما يعرف في مسألة من المسائل ، ويرد المحاور في نقمة واعتداد ، ثم يبدأ سقراط أسئلة كان قد أعدها بحيث يختلط الأمر على محاوره فيتناقض نفسه . وكان سقراط « يستعمل دائماً طريقة تؤكد الرهان عن طريق

تفى العكس . فسقراط حين كان يبحث في تعريف مسألة من المسائل ، يأتي بكل الأشياء التي تضاد هذا التعريف ، في الظاهر على الأقل .. فثلاً إذا سأل أوتيديموس ما الظلم ؟ يجيب أوتيديموس بأن الظلم هو أن يكذب الإنسان وأن يخدع وأن ينهب .. الخ . فيقول له : ولكن هل بعد ظلماً أن يكذب الإنسان على عدوه أو يخونه ، أو ينهبه ؟ حينئذ لابد من تصحيح التعريف الأول . وهذا التصحيح يتم بأن يقول أوتيديموس : إن الظلم أن يفعل الإنسان هذه الأشياء ضد أصدقائه . وهناك يجيب سقراط بأن ذلك لا يتم في كل الأحوال : فهلا بعد الكذب فضيلة حيناً يكون باعثاً على الشجاعة أوحائناً على طلب العلم ، أو مانعاً صديقاً من أن يستخدم سلاحاً لانتحاره ؟ حينئذ يجيب أوتيديموس بأن الظلم إذن أن يرتكب الإنسان هذه الأشياء ضد أصدقائه أيضاً حيناً يريد الإضرار بهم . وهكذا يستمر الحوار (١) .

وكان سقراط يحاول دائماً الاستنادة من الآخرين ، وأن يساعد الإنسان للوصول إلى تعريف الشيء تعريفاً صحيحاً ، وكان سقراط يتعلم بينما هو يعلم عن طريق الحوار .

وكان سقراط يستعين بالاستقراء ويتدرج من الجزئيات إلى المعاني أو الأحكام العامة ، كما أن سقراط آمن بأن الإدراك الحسي هو أساس المعلومات جميعاً . ولأن هذا الإدراك يختلف باختلاف الأفراد ، فإن المعلومات التي تجيء عن طريقه مختلفة ، فنحن لا نعرف عن الحقيقة إلا الصور المختلفة التي تقدمها لنا الحواس . ولذلك اتجه سقراط إلى بناء تحصيل المعرفة على العقل لا على الحواس معارضاً بذلك آراء السفسطائيين . ويرى سقراط أن العقل عامل مشترك عند جميع الناس ، وما دام العقل أداة المعرفة ، فالحقائق الخارجية ثابتة لأن الناس جميعاً يرونها بمنظار واحد ، هو العقل الذي لا يختلف إدراكه في شخص عن آخر (٢) وكان رأى سقراط هذا هو الأساس الذي نشأت عليه كل المذاهب العقلية المثالية « Idealism » .

(١) عبد الرحمن هدى . المرجع السابق ، ص ٣٧-٣٨

(٢) أحمد أمين وركي نجيب محمود قصة الفلسفة اليونانية ص : ١٢١-١٢٢ .

ويذكر أن سقراط انصرف عن البحث فيما يتصل بالطبيعة والآلهة ،  
مؤثراً أن يدرس الإنسان نفسه أولاً ، ثم يدرس المتصل بالإنسان ، وكان  
يرى أن عقل الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى البحث في الطبيعة والإلهيات .

ورأى سقراط أن الإنسان لا يمكنه أن يعمل الخير إلا إذا عرف ماهية  
الخير أى عرف الإدراك العقلي للخير ، فالعمل الأخلاقي مؤسس على المعرفة  
ويجب أن يصلر عنها ... بل إن الفضيلة والعلم شيء واحد فيستحيل أن تعرفه  
الخير معرفة صحيحة ولا تعمله ، كما يستحيل أن تعمل الخير ولا تعرفه  
فيكفى في نظر سقراط أن يعلم الإنسان ما الفضيلة حتى يكون بمنجاة من فعل  
الرديلة ، وكل عمل شر إنما يصدر عن الجهل بالفضيلة ، لأن الإنسان لا يسعه  
إذا عرف الخير أن يفعل شراً (١) .

وانتهت حياة سقراط بمحاكمته ، فقد اتهم بانكاره آلهة اليونان . وكذا  
بدعوته لآلهة جديدة ، كما اتهم بافساد الشباب الذي سحرته آراؤه فالتفوا حوله .  
وزاد أعداء سقراط لأنه هاجم الديمقراطية منكرأ انتخاب الزراع والصناع  
لمنصب الدولة ، كما أغضب الأرستقراطيين لما يبدوونه من استبداد وظلم .  
ووقف سقراط أمام قضائه ، ودافع عن نفسه مشفقاً على القضاة أنفسهم من  
موقفهم الخزي ومتألماً لما صارت إليه الآه ور من فساد . وحكم عليه بالموت .  
وبجن ثلاثين يوماً . وكان الغروب موعد إعدامه ، فأمر سقراط بالسم ،  
وتناول الكأس بثبات . وبكى تلاميذه فنهروهم بينما السم يسرى في أوصاله ،  
وعندما أحس بالثقل في ساقيه عرف أن السم ينهى أجله . وغشته برودة في  
جسمه من أسفل إلى أعلى ، فاقدأ الإحساس تدريجياً حتى توقف قلبه .  
غربت شمس .

## أفلاطون

عندما دخل الحواريون على أستاذهم سقراط في ساعاته الأخيرة كان السجان قد فك القيود الثقيلة التي كبل بها السجين المحكوم عليه بالموت . وشهد الحواريون موت أستاذهم الذي أثار الشجاعة في الموت على التذلل والضعف أمام قضاته . هكذا مات سقراط أمام تلاميذه ، ويقال إن أحدهم ( أفلاطون ) لم يشهد موته إما لمرضه كما يذكر هو ، وإما لأنه لم يستطع أن يقاوم الألم الذي كان سيعاينه لو أنه شهد هذه النهاية .

ويذكر أن أفلاطون ولد بين سنتي ٤٢٩ - ٤٢٧ ق . م من أسرة أرسوقراطية موسرة . وكان على النقيض من أستاذه الذي تتلمذ عليه في ثمانى السنوات الأخيرة من عمره . فبينما كان سقراط دميم الحلقة قبيح الوجه ، كان أفلاطون حلواً محبباً ذا جسم رياضي ممشوق . وكان عمره عشرين عاماً عندما تتلمذ على سقراط وجلس إليه بينما كانت الحرب بين اسبرطة وآثينا مشتعلة . وزعزعت هذه الحرب البلديونية دعائم القوة في آثينا ، بل وزادت الديمقراطية في سيادتها فأمسك الدهماء بمقاليد الأمور ، وعاثوا فساداً ، حتى إذا انتهت الحرب دانت السيادة للأرسوقراطيين الممثلين في ثلاثين طاغية . وأراد هؤلاء أن يصلحوا ما فسد ، فعمدوا إلى البطش والقسوة ، وعاشت آثينا ترتجف .

وقد شهد أفلاطون حكم الدهماء وحكم الأرسوقراطيين ، وكلاهما فشل ، وكان ذلك قبل أن يجلس إلى أستاذه سقراط محاوره . ولما لم يكن هناك إلا أحد أمرين في السياسة : الديمقراطية أو حكم الأقلية - وبعض هؤلاء كانوا أقاربه وكلاهما فشل - فقد ولى أفلاطون وجهه شطر الشعر ينظمه ، حتى تعرف إلى سقراط ولازمه . أما ما نظمه من شعر فقد أحرقه فيما بعد .

وبعد موت أستاذه رحل ، بعد أن لفت الأنظار إليه بدفاعه عنه ومناداته ببراءته وعظمته وعبقريته ، وطلعت أقاويل عنه وجد معها أن الخير له في الترحال والسفر . وطاف بايطاليا حيث جلس إلى الفيثاغوريين وأخذ ما

يعلمونه ، ثم أقام ببلاط الملك ديونيسيوس في صقلية . ولما علم هذا الملك بما يتكلم عنه أفلاطون في موضوعات الأخلاق والفلسفة عموماً ثار غاضباً . وأخذ أتباعه أفلاطون لبيع في سوق العبيد ، ولكن رجلاً من محبي الفلسفة أنقذه . ويقال إن أفلاطون زار مصر ضمن جولته التي استمرت عشر سنوات عاد بعدها إلى آثينا . ويقال إنه أمضى في رحلته اثنتي عشرة سنة .

ثم عاد أفلاطون إلى آثينا ليستقر فيها رجلاً أخذ الحكمة عن سقراط ثم تجول في الأقطار ينهل من الفلاسفة والحكماء . عاد إلى آثينا معلماً وفيلسوفاً ، ولكنه لم يتجول في الطرقات والساحات ويقف يناقش كما كان يفعل أستاذه سقراط ، بل اتخذ له ملعباً في شمال شرقي آثينا كان يسمى باسم أحد الأبطال القدماء هو أكاديمس وكان في منطقة ذات أشجار على شاطئ نهر ، وأطلق على هذا الملعب اسم الأكاديمية . وتكأكات الوفود إلى هذا المكان الجميل أربعين عاماً . وفي خلال هذه المدة كتب أفلاطون الكثير وعلم الكثيرين . وبفضل أفلاطون تقدمت الفلسفة ، فقد أتيح لها الهدوء والدراسة العميقة المتصلة . وقد علم أفلاطون وكتب في كل ما يهم الناس ، عن تحسين النسل ، والشروع والاشتراكية ، ومساواة المرأة بالرجل في الحقوق جميعاً ، والحريات في القول والرأي والعلاقات الجنسية ، وتأميم الثروة ، وغيرها . وقد صاغ كتبه في أسلوب الحوار متخذاً من سقراط بطلاً في الكثير من المناقشات المكتوبة ، مازجاً بين فلسفته وفلسفة سقراط حتى لا نستطيع أن نتميز بينهما في كثير من المواضع (١) .

وعلم أفلاطون آراءه في أكاديميته ، كما ساعده أستاذة آخرون مثل-- أكسينوقراطيس وأرسطو الذي كان أستاذاً للخطابة . وقد وضع أفلاطون في أكاديميته مناهجاً يدرسه الشباب حتى يتمكنوا من إدارة أمور الدولة إدارة سليمة صحيحة . بل إنه كان يأمل أن هؤلاء الشباب سيقومون صرح الجمهورية

التي تصورهما ، الجمهورية التي يحكمها الفلاسفة حتى تستقيم الأمور ويسود العدل والإخاء والحق (١) .

ومن حسن الطالع أن كل كتابات أفلاطون بقيت حتى وصلت إلينا ، إلا أن بعضها أضيفت إليه إضافات . وكتب أفلاطون بطريقة الحوار إلا لإقنونة مقالة « التعريفات » والرسائل الثلاث عشرة . أما مؤلفاته فقد كتب جزءاً منها وهو يتعلمذ على سقراط ، وجزءاً أثناء رحلته ، والجزء الأكبر خلال قيامه بالأكاديمية . وأهم كتبه جميعاً هو كتاب « الجمهورية » أو « المدينة الفاضلة » .

### نظرية أفلاطون في التربية

غلبت على آراء أفلاطون التربوية آراؤه في علم النفس التي تصف الروح البشرية أو الشخصية ، وآراؤه عن المجتمع البشري وعن الفرد والمجتمع والعلاقات بينهما ، ولذا فجدير بنا أن ندرس هذه الآراء التي صبغت فلسفته التربوية ، ونبدأ بالآراء السيكولوجية .

### أولاً : الفرد

لم يخضع علم النفس زمن أفلاطون إلى التجريب الذي يخضع له اليوم ، ولم تبذل أية محاولة وقتئذ للتعبير عن العلاقة بين الدوافع والسلوك الملاحظ تعبيراً رقمياً ، وكيف يختلف السلوك تبعاً للمثيرات . ولكن عرف أن علم النفس لم يحرم من لمسات تجريبية . فلكى يفهم أفلاطون الشخصية اعتمد على الاستبطان وملاحظة الآخرين .

وقد استنتج أفلاطون من ملاحظاته أن النفس تتكون من ثلاثة أنواع من القوى أو القدرات أو الملكات ؛ : قوة العقل ( التفكير ) وموضعها الدماغ ، والغضب ، وموضعها الصدر ، والشهوة وموضعها البطن . والعقل هو هذا القسم من النفس الذي يمدنا بالقدرة على اكتشاف الحق والباطل ، وعلى إثبات أي الأقوال حق وأياها باطل . والتفكير هو الدافع والمؤدى لكل معرفة :

(١) أحمد أمين وزكي نجيب محمود ( المرجع السابق ) ص ١٤٧-١٥٠

وأهم أنواع المعرفة التي يؤدي إليها نشاط العقل هو الحكمة ، هو معرفة طبيعة الخير والطرائق السليمة للحياة الصالحة للمجتمع والفرد . ولكن لا يستطيع العقل وحده التحكم في الفعل البشري ، فقد نعرف ما يجب عمله ومع ذلك لا نسلكه .

والقوة الغضبية عند أفلاطون هي الإرادة كما نطلق عليها اليوم ، وتنفذ ما يقرره العقل . فالقوة الغضبية مرتبة في خدمة قوة عليا وهي القوة العاقلة في كل ما تشير به إذا كان خيراً . وتوكيد النفس إذن - في رأى أفلاطون - هو الذى يترجم المعرفة ( أى الحكمة ) إلى عمل ، أى فضيلة .

أما هذا الجزء من النفس وهو الشهوة فهو مرتبط بالوظائف الجسمية . ويميز أفلاطون بين نوعين من الرغبات توصف قوتها بأنها شهية ، وهي الرغبات الضرورية وغير الضرورية . والرغبات الضرورية هي اللازمة لبقاء واستمرار الحياة كالجوع ، والجنس ، والمأوى . أما غير الضرورية فهى لا تعمل على بقاء واستمرار الحياة ، بل تعمل على تزيينها وتزويقها ، كالطعام الفاخر والثوب المزركش والحلى . وتحتاج الشهوات لتسير في طريق مرسوم إلى قوة توجهها وتساعدنا .

ويأتى التوجيه بطريق غير مباشر من العقل والتفكير ، ويأتى مباشرة من القلب مركز القوة الغضبية ، فالحكمة التي يكتشفها العقل تعمل على تحقيق الشهوات الضرورية وغير الضرورية ، والإرادة هي القوة التي تنفذ ما تقوله الحكمة . ومع أن كل نفس بشرية فيها القوى الثلاث ، إلا أن الأفراد يختلفون ، بعض الأفراد قادرون على التفكير أحسن من غيرهم ، ولذا فلهذه المعرفة والحكمة . وقدرة البعض على التفكير أقل ، ولكن قدرتهم على العمل أكثر ، وهؤلاء يستطيعون بالقوة الغضبية ( الإرادة ) أن يسيطروا على الشهوات . والنوع الثالث من الناس تفكيرهم قليل وقلوبهم ضعيفة ، وتظهر شهواتهم مسيطرة ، ولا يستطيعون كبح جماحها إلا بقوة من الخارج ، قوة أساسها الحكمة ، التي يفتقدها هؤلاء ، أو قوة أساسها السلطة المادية الراجعة .

وباختلاف الأفراد في القوى ، يختلفون أيضاً في المهن التي يصلحون لها .  
فحيث يكون للعقل الغلبة فصاحبه يصلح للمهن التي تتطلب الدرس والتحصيل  
والتفكير . وحيث تغلب الإرادة ، فالمهن التي تصلح لها هي ما تتطلب أعمالاً  
بالقوة كالحرب والشرطة . أما حيث تسود الشهوات فخير ما يصلح لها هو  
التجارة والإنتاج حيث الربح وحيث تتحقق اللذات الشخصية .

ولقوى النفس تاريخ عند الفرد ، فهي كائنة منذ الولادة ثم تتيقظ بعد  
سنوات قليلة . ولا يستطيع العقل تقبل المعرفة والحكمة قبل سن السابعة عشرة ،  
أما الإرادة فهي غير ثابتة . والشهوات متقلبة . ومع ذلك فيستطيع العقل قبل  
سن السابعة عشرة أن يتقبل صور الخير والجمال والحق ، كما يمكن للإرادة أن  
تعود على ما يتقبله العقل . وهذه بدورها تتحكم في الشهوات على هدى توجيه  
العقل .

وتوزع قوى النفس بين الرجال والنساء ، ولا يؤثر الجنس في فاعلية  
هذه القوى . ومعنى ذلك - في رأى أفلاطون - أن المرأة تستطيع شغل  
مناصب الحكم والمسائل الاقتصادية والحربية واقفة على قدم المساواة مع الرجل .  
ويؤكد أفلاطون ضرورة إتاحة الفرصة لكل فرد ليعمل حسب إمكانياته  
قدراته حتى يتمكن من حسن استغلالها ، وعلى المجتمع أن يهيئ لكل فرد  
الفرص لاستغلال إمكانياته (١) كما أن أفلاطون قسم الشعوب بحسب تقسيمه  
قوى النفس : فالإيونانيون يمتازون بسيطرة القوة العاقلة ، ويمتاز الشماليون  
بسيطرة القوة الغضبية ، أما الفينيقيون والمصريون فتسود عندهم القوة الشهوية .

### المجتمع :

ويرى أفلاطون أن الحياة في المجتمعات البدائية بسيطة حيث يعيش الناس  
حياة تلقائية يسودها السلام والهدوء ، موزعين الأعمال عليهم . أما في المجتمعات  
المتمدنية فالحياة فيها معقدة ، وتوزيع الأعمال لا يتم بسهولة وبساطة ، بل

إن أخطاراً خارجية تهدد أمنها واقتصادياتها ، ولذلك فهي تلجأ إلى السلاح والحرب لتأمين أراضيها واقتصادياتها . بل تستخدم القوة والقوانين لحسن توزيع الأعمال على السكان . وفي رأى أفلاطون أن وظيفة المجتمع الاقتصادية وحرية وتشريعية لسلامة الحكم ، ووجد مثالا لهذا المجتمع في مدينة الدولة الإغريقية . وكانت مدينة الدولة - ويسمى البعض المدينة الحرة - محدودة المساحة وتشمل مدينة تحوطها بعض القرى الصغيرة . وهى تُتمون نفسها اقتصادياً بقدر المستطاع ، وتناجر خارجياً مع مدن أخرى . ويظهر أن أفلاطون لم يفكر في دول كما نعهد اليوم من حيث المساحة وعدد السكان وتشابك العلاقات الخارجية .

ولكى تنجح وظائف المجتمع يجب أن يستشعر كل فرد السعادة في عمله ، ولن يتأتى هذا إلا باتقانه هذا العمل ، فالصناع مثلاً عليهم أن يجيدوا صناعاتهم وحرفهم حتى يقبل الناس على شرائها وبذلك يقتنون المال الذى يرضى شهواتهم وكذلك الأمر بالنسبة للشرطة والجيش ، فعلى كل عامل بهما أن يعتز بعمله ويسعد ويقبل عليه حتى يتحقق للدولة النصر الخارجى والأمن والنظام فى الداخل ، وإلا دبت الفوضى أو خضعت المدينة لسيطرة مدينة دولة أخرى وبذلك ينحطم مجتمعاها . وعلى الجيش والشرطة العمل حسب قوانين الحكومة التى يتولاها الحكماء . وعلى هؤلاء أن يتمتعوا بالعقل والحكمة حتى تكون أوامرهم رشيدة متزنة ، ومحققة لخير المجتمع .

وهذا يوجد فى المجتمع : العمال والصناع والمزارعون والتجار مكونين طبقة اجتماعية تعمل على خدمة الاحتياجات الاقتصادية للمجتمع ، ثم طبقة الجند والشرطة وعليها حماية المدينة الدولة من الخارج والداخل ، ثم طبقة الحكام الذين يهيمنون على المدينة عاملين على خيرها وموجهين الطبقتين الأخيرتين .

## ترتيب الأفراد

وعلى أساس نظرة أفلاطون السيكولوجية والاجتماعية أعطى نظاماً لتدريب الأفراد .

أولاً : يجب أن يخضع المسؤولون عن الحكومة في المدينة لنظام تربوي يتكون من خمس مراحل .

١ - من الميلاد إلى سن السابعة عشرة : وتنقسم هذه المرحلة إلى قسمين ، ويربى الأطفال على أيدي أخصائين في دور الحضانة العامة بعيداً عن الوالدين . وفي الحضانة يهتم المشرفون بالتواجدسى للأطفال مستغنين اللعب والرياضة في ذلك . وخلال القسم الثاني يتعلم الأطفال القراءة والكتابة ، ويتدربون على التذوق الموسيقى الذي تشمل الموسيقى واللغة والأدب بالمفهوم الحديث . وإلى جانب ذلك يتعلم الأطفال والعلماء العلوم ، والتمرينات البدنية ، وتخضع ( المناهج ) التي يدرسها المتعلمون لرقابة الدولة خضوعاً كاملاً في محتواها وشكلها .

٢ - من سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة إلى سن العشرين : وفي هذه المرحلة يتدرب الشباب تدريبات عسكرية وجسمية عنيفة .

٣ - المرحلة الثالثة من سن العشرين إلى الثلاثين : ويدرس فيها الشباب العلوم كالحساب والهندسة والفلك وغيرها . هذا إلى جانب دراسة الموسيقى .

٤ - المرحلة الرابعة من سن الثلاثين إلى الخامسة والثلاثين : وتتميز بطريقة المناقشة والحوار في دراسة عن العالم وطبيعة الخير .

٥ - المرحلة الخامسة من سن الخامسة والثلاثين إلى سن الخمسين : وفيها يعين الناجحون في المرحلة الرابعة في مناصب حكومية .

وفي سن الخمسين يختار المرزون في المناصب الحكومية لرفعوا إلى المناصب الحكومية العليا

ثانياً : يجب أن يخضع أصحاب الإرادة إلى نظام تربوي خاص بهم ،

ولكنه مع ذلك لا يجد أفلاطون مانعاً من خضوعهم للمنهج الدراسي لأصحاب العقل والتفكير حتى نهاية المرحلة الثالثة . ويلوح أنه من الضروري لطبقة الجند دراسة عسكرية تؤهلهم للمناصب الحربية ، فالمهم فيهم نوع من الشجاعة ، وقدرة على تقبل أوامر وتوجيهات أصحاب العمل ؛ وإلا فند يدعون إلى أعمال يثربها الطمع لتحسين مكاسب اقتصادية خاصة بهم ، وبذلك يصبحون مصدر خطر دائم في مجتمع متمدين .

ثالثاً : ويجب أن يخضع أصحاب الشهوات إلى نفس نظام التربية في المرحلة الأولى والثانية وسوف تساعدهم هذه التربية على الخضوع لطبقة الجند وبالتالي لفئة المفكرين . كما أن تربيتهم سوف تساعدهم في اتجاهاتهم الاقتصادية . وينتظر أفلاطون من نوع التربية الذي يخضع له أصحاب هذه الطبقة أنه سوف يكبح جماح شهواتهم .

### فئة الأعطوبه في التربية

( أولاً ) الميتافيزيقيا والتربية :

في مواطن كثيرة بكتاب الجمهورية لأفلاطون قال : إن العالم الملاحظ متكون من عديد من الأشياء وكل شيء له خاصيته ومكانه ويمتد منتشر آ في زمان معين . وكل شيء في تغير مستمر في صفاته وعلاقاته أو يتحرك من مكان لآخر ، وكل شيء ينتمي إلى طبقة طبيعية . فالشجرة التي نراها واحدة من هذه الأشياء فنحن ندركها بحواسنا ، وهي متميزة عما حولها ، وهي متغيرة ( سقوط الأوراق ، النمو ، الثمار .. الخ ) ، وهي تنتمي إلى مجموعة من النباتات . على أن كل شجرة يمكن أن تميز عن غيرها من نفس المجموعة ، ومع ذلك فيقول أفلاطون : إن كل الشجر يشترك ( داخل مجموعة واحدة من الشجر ) في صفات عامة . فإذا اختلفت نخلة عن بقية النخيل فان لكل النخيل صفات مشتركة أو جوهر واحد يمكن أن نطلق عليه اسم ( النخلة ) . وكما أن هناك ( فكرة ) للنخيل فهناك ( فكرة ) لكل مجموعة من الأشياء :  
وللفكرة صفة العالمية والعمومية ، وتظهر في مظاهر مختلفة وفي أمكنة

متعددة وأزمان متباينة . و ( الفكرة ) مخالفة وليست مضيرة . فهناك أنواع كثيرة من التخيل في مناطق مختلفة ، ولكن الفكرة واحدة . و ( الفكرة ) تتصف بالكمال والثبات ، وقد نجد شجرة نجيل فيها عيب وأخرى قصيرة وثالثة مفرطة في طولها ورابعة ثمارها شبيهة .. للخ ولكن في ذهن علم النبات صورة لشجرة النخيل كما يجب أن تكون ، وعلى أساس هذه الصورة يصف نخلة بأنها سليمة وأخرى بأن عيباً فيها .

و ( الأفكار ) يرتبط بعضها ببعض الآخر في نظام ، وعندما يبلغ العلم خروته سوف تنتظم كل الأشياء في نظام كامل ، وعلى قدر معرفة الإنسان فقد انتظمت ( أفكار ) الأرقام في علم اسمه الحساب وانتظمت ( أفكار ) الحركة السماوية في علم الفلك . و ( أفكار ) النغم في الموسيقى .

وتقول نظرية أفلاطون الميتافيزيقية إن خلف كل شيء مدرك في العالم نظاماً من الأفكار يفسر ما في هذا العالم . وما ندركه بحواسنا في هذا العالم صور لتلك ( الأفكار ) أو ( المثل ) . وإنما في هذا العالم نرى نسخاً باهتة من هذه المثل . والمثل كائنة وموجودة حتى ولو في هذا العالم .

ويظهر لنا تطبيق نظرية أفلاطون هذه في مفهومه عن الإنسان الذي يجب أن يتحلى بقوة الفكر والإرادة والشهوة . وكذلك الأمر بالنسبة للمجتمع الذي يتضمن الوظائف الاقتصادية والعسكرية والتشريعية . ولهذا فإن العلاقة بين المواطنين والدولة يجب أن تكون شبيهة بالعلاقة بين ( فكرة ) الإنسان و ( فكرة ) المجتمع ، وقد سبق أن وضحت مراحل التربية المختلفة التي اقترحها أفلاطون والمبنية على هذه العلاقة بين قوى الفرد ووظائف المجتمع .

( ثانياً ) الأخلاق والتربية :

وتظهر فلسفة أفلاطون في الأخلاق منعكسة على التربية في نظريته العامة عن طبيعة الخير . وهذه النظرية تعتمد على فكرته الميتافيزيقية ، فقد رأينا أنه يتحدث عن نظرية المثل وأن الموجودات المتركة صورة أرضية من هذه المثل التي تتصف بالكمال والخلود ، ولذلك فانه يقول : إن الخير في كل شيء

مدرك يتوقف على الدرجة التي يقترب فيها هذا الشيء من صورته المثالية أو يعبر عنها . ولتأخذ مثلاً النخلة . فالخير فيها والجمال ليس سببه ما تضيفه علينا من ارتياح أو لذة ولا على أساس مقارنة، النخلة بشجرة الجميز مثلاً . ولكن الخير والجمال في النخلة هو مدى اقترابها من صورتها المثالية .

وفي رأى أفلاطون أن المجتمع الخير هو المجتمع العادل . وبقدر اقتراب المجتمع بوظائفه الثلاث والإنسان بقواه الثلاث من المثالية الموجودة في عالم المثل ، يمكن أن يتحقق العدل بدرجة تتناسب مع درجة الاقتراب من المثالية . ولهذا فقد وجه أفلاطون نظامه التعليمي ليحقق بقدر المستطاع هذا العدل والحق

( ثالثاً ) المعرفة ( الإيستومولوجية ) والتربية :

قال أفلاطون : إن المعرفة حالة عقلية تتميز بالتأكد من طبيعة شيء ما ، وهذا الشيء غير موجود في عالم الواقع المتغير ، والتغير يجعل من المستحيل التأكد من طبيعته ولذلك فإن الأشياء التي نعرفها بتأكد هي ( الأفكار ) في علاقاتها المنتظمة .

وهناك درجتان في التأكد من المعرفة : التأكد القائم على فرض ، والتأكد المطلق . فما نعرفه عن العلوم والرياضيات هو تأكد فرضي لأن تأكدنا من صدقها يعتمد على تأكدنا من صدق الفروض التي اشتقت منها . أما التأكد المطلق فهو مرتبط بوعينا بفكرة الخير ، وهذا التأكد المطلق صعب المنال وهو يحول المعرفة الفرضية في العلوم إلى مطلقات .

### التطبقات التربوية

تعرض أفلاطون في كتابه ( الجمهورية ) و ( القوانين ) إلى مسائل متصلة بالتربية اتصالاً وثيقاً . ولعل أكثر أشكال الوجود البشري قيمة في نظر أفلاطون هو التوافق بين الجمال والفضيلة عند الإنسان ، فهو يؤكد ضرورة التفاعل بين الجسم والعقل كأساس للتربية ، ثم يوسع نطاق هذا التوافق إلى أن يشمل التوافق بين الجماعات بل في العالم الميتافيزيقي . ويرى أفلاطون

أن على الإنسان أن يوفق بين غرائزه وإراداته على هدى من مبادئ عالمية ، وأن يخضع سلوكه تلقائياً لفضائل أربع هي : الحكمة وكبح جماح الشهوات والشجاعة والعدل . وهذا هو المواطن المثالي لأنه يعرف كيف يحكم وأن يحكم بالحق .

وتؤسس الفلسفة الأفلاطونية في التربية على هذه الفضائل الأربع . ويؤكد أفلاطون أن الفضيلة تتطلب اقتناعات خلقية ونوايا طيبة وضميراً حياً وقدرة على العمل السليم ، كما أن ارتباط الخلق والمعرفة لازمان وضروريان . وفي رأى أفلاطون أن الكمال البشرى مستحيل ما لم يعرف الإنسان كيف يحول نواياه إلى واقع ! ولذلك فان بصيرة الإنسان في طبيعة الحياة يجب أن تكون قوة دافعة في تربيته ، وقد منح الإنسان وحده القدرة على الوصول إلى الكمال والسمو بنفسه من خلال تبصره ومعرفته نفسه ومحاولته للحياة الطيبة ، وهو قادر على تحطى عبات ذاته الضيقة ويخضع مختاراً لقوانين عامة عادلة ، وهذا هو الإنسان الحر ناقض .

ويرى أفلاطون أن التربية هي عملية توجيه وجذب الأطفال إلى الطريق الذى رسمته القوانين وأكدت عدالته خبرات ذوى العقول المفكرة المحنكة (١).

ولهذا فان أفلاطون في كتابيه « الجمهورية » و « القوانين » كان يتصور مدينة مثالية فزج بين فن السياسة والتربية ، لأنه وجد كليهما يهدف نحو تحقيق النظام الأسمى في الحياة . وقد حاول بعض الكتاب التربويين الحديثين تقسيم أفكار أفلاطون التربوية على هدى من التقسيمات الحاضرة ، أى المدرسة الابتدائية ثم الثانوية ثم العالية . ولكن مثل هذا التقسيم مآله الفشل لأنه من العبث تفسير الماضى بعقلية الحاضر ، كما أن أفلاطون نفسه ألقى الأهمية الكبرى على روح العملية لا على شكلها التنظيمى .

أما عن نظام أفلاطون التربوى فقد ألححت إلى صورة منه في صفحة (١٠٧) ، أما ما وراء هذا فهو في رأيه تحويل عناصر الأمة الثلاثة لينصرف

Ulich, op. cit., p. (١)

كل فريقي إلى ما أعد له . فاصحاب للشهوات يتجهون إلى ميدان العمل ، وأصحاب العاطفة إلى الحرب وهم الجنود ، أما أصحاب العقل والحكمة فيتجهون إلى الحكم وسياسة أمور الدولة . ويرى أفلاطون البدء بعزل المصغار عن الكبار حتى نبعده عنهم عادات آبائهم السيئة . ويجب أن تتاح للضغار جميعاً فرص متكافئة لينالوا نصيباً من التعليم ، لا يتميز واحد عن الآخر ، فان النبوغ والعبقرية ليسا وقفاً على طبقة دون أخرى (١) .

ويدرب الأطفال في الفترة الممتدة للسنوات العشر الأولى على رياضة بدنية لتقوية أجسامهم ، إلى جانب دراسة الموسيقى لتهديب الخلق وتدريب النفس على التوافق النغمي . على أن أفلاطون يحذر من الإسراف في تربية الأجسام على حساب الموسيقى ، أو الإسراف في ترقيق النفس بالموسيقى على حساب الجسم .

ويصر أفلاطون على أن تكون التربية في مراحلها الأولى أدنى إلى التسلية منها إلى الجد ، لأن هذه هي الوسيلة التي يتعرف بها الكبار على ميول الأطفال الطبيعية ، ثم إن أفلاطون يضيف الأخلاق إلى الرياضة البدنية والموسيقى ( أى تربية الجسم والعقل ) . فهو يؤمن بالتكامل بين أفراد المجتمع وحتمية تعاونهم وأن يتعرف كل فرد دورة في هذا المجتمع ، أى ما له من حقوق وما عليه من واجبات . ويلوح أن أفلاطون يقصد بالأخلاق هنا ما يطلق عليه في المصطلح الحديث العلاقات الإنسانية وطرائق التعامل . ويهتم أفلاطون بالأخلاق على أساس أنها سوف تكبح جماح الشهوات عند الإنسان وتدفعه إلى طريق الحق والخير فتقل المشاجرات والمنازعات وبذلك لا تقوم ضرورة لقموات الشرطة لتقضى بين الناس وتقيم العدل ، وتحول أموال الشرطة إلى أبواب أخرى تعود على المجتمع بالخير .

وتعتمد الأخلاق على ركيزة يراها أفلاطون حتمية أيضاً وهي إيمان الناس باله محدد لا بقوة عليا مهيمنة ، أى بدنين يهديهم سواء السبيل ، فيه من أساليب الثواب ما يشجع على عمل الخير ، وفيه من أساليب العقاب ما يكفل

(١) أحمد أمين وزكى نجيب محمود ( المرجع السابق ) ص : ١٩٨-٢٠

هى الضال عن غيه وشروره . وهذا الثواب والعقاب يعضده أفلاطون بحتمية خلود النفس حتى يطمئن المثيب إلى أعماله ويخاف المذنب شر أفعاله .

وتستمر هذه الدراسة إلى سن العشرين ، وفي هذه السن يستبعد من للشباب من يثبت أنه غير قادر على مواصلة الدرس والتحصيل ، وهؤلاء ينتظمون في صفوف عامة الشعب الذين يكونون جماعات الزراعة والعمال وأصحاب الحرف والمهن .

وهؤلاء وهم غالبية ، يكونون قاعدة ترسب فيها جماهير غفيرة تتحكم فيهم شهواتهم .

وبعد امتحان قاس صارم يسمح للناجحين بدراسة تستمر عشر سنوات تربي فيها أجسامهم وعقولهم ونفوسهم ، فهم يتعلمون الرياضيات والفلك ولكنهم لا يتعلمونها بقصد الكسب المادى أو العمل اليدوى ، وإنما للتمتع والتأمل المعنوى المحرد للعلوم البحتة ، فالقائد العسكري يتعلم الأرقام حتى يستطيع تنظيم جنوده في وحدات متناسقة فعالة .

وفي سن الثلاثين يجرى امتحان صعب ، وينضم الراسبون فيه إلى طبقة الشرطة والجنود الذين يتولون الذود عن حياض الوطن داخلياً وخارجياً . وإعداد جيش وطنى قوى قصد به أفلاطون أن يكون درعاً للوقاية وقوة إرهابية للأعداء حتى لا يجسروا على تهديد الوطن . فالجيش للدفاع لأز أفلاطون كان يمقت الحرب والقتال .

أما الناجحون فهم يواصلون الدراسة ، رجالاً ونساء ، في الفلسفة لمدة خمس سنوات ثم يتدربون على الحكم الصالح وسياسة الدولة تدريباً عملياً في خضم الواقع حتى سن الخمسين ، وهذه هى السن التى يصلح فيها الدارس أن يكون ملكاً فياسوفاً ، إذ كان من رأى أفلاطون أن يقوم على حكم الناس. الفلاسفة لقدرتهم على فهم إرادة الله على حقيقتها ، وهم القادرون وحدهم على تفهم الأسرار الإلهية وتبين مشيئة الخالق بل هم أعدل الناس وأكثرهم قدرة على نشر العدالة وتطبيقها . والحكام الفلاسفة مزهونون عن الشهوات الدنيوية التى يعرفها أفراد الطبقة الدنيا ، فهم لا يملكون ، ويتناولون طعامهم في

مقاصف عامة ولا يسكنون القصور وإنما يبيتون في قاعات مشتركة . وجل تفكيرهم ،وجه إلى إسعاد مواطنهم والعمل على راحتهم بنشر الخير والعدالة بينهم .

ينظر بعض المفكرين لآراء أفلاطون التربوية على أنها أفكار خيالية تقصد عالماً مثالياً كالمدينة المثالية التي كان أفلاطون يحلم بها . ولكن أحداً لا ينكر مدى ما لفلسفته من إشعاع غمرت به البشرية حيث أفادتها بخبرها وعدادتها وجمالها . ويشبه البعض أثر أفلاطون بالظل الذي يلجأ إليه العابر في يوم قائف ويجلس إلى جدار مبنى كنيسة ، ثم يحتسى من البرد بهذا المبنى ويمجد في داخله من الجمال والقدسية ما يريح نفسه ، ولكنه قد لا يسأل عن اسم الذي بنى هذه الكنيسة وأبدع بناءها إذ يختفى اسم صانع هذا المبنى وراء سحب التاريخ . وأثر أفكار أفلاطون على التربية كما نعهدها في المدارس أثر قليل . ومع ذلك فقد تأثرت مدارس الأديرة المسيحية وجامعات العصور الوسطى بأرائه . غير أن هذا التأثير هزيل إذا قورن بفيض أرسطو الكبير . ويلوح أن القلة هي التي فهمت عمق نوايا أفلاطون ، فرأى الغالبية أن مبادئه التربوية غير عملية ولا تصلح للمربي . ومع ذلك فهناك إعجاب بأرائه عن تعليم النساء ، وبمزجه بين التريتين الرياضية للجسم والموسيقية للروح ، وباعتقاده أن التربية عملية مستمرة فيها جانب عملي واقعي ، وبفهمه عن الفيلسوف الحق .

ويجد المرءون صعوبة أو حتى استحالة في تنفيذ آراء أفلاطون التي غلفت بالمثاليات ( اليوتوبيا ) ، ومن المحتمل أنه هو نفسه كان ييتمس أحياناً للصورة المشرقة المتفائلة والخيالية التي كان يحلم بها ومع ذلك فكان ثمة أمل يراوده كما راود ملك صقلية الشاب ديونيسيوس الذي أرسل إليه ليجعل منه ملكاً فيلسوفاً ، غير أنه ضاق ذرعاً بأفلاطون وفلسفته وتعاليمه وكاد يبطش به لولا أن هرب .

لقد أعطى أفلاطون البشرية أملاً وتفاؤلاً ، تسعى إليه في كل جوارح عمر التاريخ لتحقق شيئاً منه .. ولو قليلاً .

## أرسطو

تربى أرسطو مع فيليب أبى الاسكندر الأكبر المقدونى ، وكانت ولادته فى سنة ٣٨٤ ق.م. من عائلة ثرية ، فكان أبوه طبيباً ملك مقدونيا . وقد ترك أرسطو مقدونيا إلى آثينا فى السابعة عشرة من عمره لينال تعليمه ، وفيها التحق بأكاديمية أفلاطون وتلمذ عليه مدة عشرين سنة . وبعد وفاة أفلاطون ترك أرسطو آثينا إلى أسوس حتى دعاه فيليب ليقوم على تربية ابنه الاسكندر وكان ولياً للعهد . وعندما اعتلى الاسكندر عرش مقدونيا عاد أرسطو إلى آثينا وأنشأ بها مدرسته التى سميت الليسيه Lyceum نسبة إلى المكان الذى انشئت فيه ، كما سمي أتباعه بالمشائين لأنهم أخذوا عنه عادة المشى أثناء تعليمه . ثم مات الاسكندر عام ٣٢٣ ق.م. فى بابل وهو فى أوج نصره العسكرى ، وبموته تحطم ذلك السياج المتين الذى كان يحمى أرسطو من أعدائه الحاقدين وخصوصه المغرضين ، فانتهزوا الفرصة وأغروا به العامة والجماهير وأتهموه بالإلحاد وأنه لا يؤمن بآلهتهم ولا يقدم إليهم القرابين . ولما اشتد هياج الجماهير ضده غادر آثينا قائلاً إنه يخشى من جنابة الآثينيين على الفلسفة مرتين : أولاهما بالعدوان على سقراط ، وثانيتهما بالعدوان عليه . ولم يلبث أن مرض بعد هربه من آثينا بعام أو بعض عام شاكياً من معدته ، ثم عاجلته المنية سريعاً فى العام التالى من هربه أى فى سنة ٣٢٢ ق.م. وكان قد بلغ الثالثة والستين (١) .

وقد كتب أرسطو فى المنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة وفى الفلسفة العملية ومن كتبه فى المنطق (٢) : المقولات - العبارة - التحليل بالقياس - البرهان - الجدل - الخطابة - الشعر .

(١) ماجد فخرى : أرسطو طاليس المعلم الأول . ص : ١٠ - ١٢

محمد غلاب : الفلسفة الاغريقية . الجزء الثانى . ص : ٧ - ١٠

(٢) لان أرسطر أول معلم لعلم المنطق الذى لم يكن قبله علماً فسمى أرسطو

ومن كتبه في الطبيعة ( الكيان ) وتعرف به الأمور العامة لجميع الطبيعيات و ( السماء والعالم ) عن أحوال الأجسام التي هي أركان العالم و ( الكون والفساد ) عن حال الكون والفساد والتوليد والنشوء والبلية و ( الكتب الثلاث الأول من الآثار العلوية ) وفيها الأحوال التي تعرض في العناصر الأربعة قبل الامتزاج لما يعرض لها من أنواع الحركات والتخلخل والتكاثف بتأثير السموات فيها إلى ( المعادن ) وهو الكتاب الرابع من الآثار العلوية وهو عن حال الكائنات المعدنية و ( النبات ) و ( طبائع الحيوان ) و ( النفس والحس والمحسوس ) ويشتمل على معرفة النفس والقوى الداركة في الحيوانات والإنسان . أما في « ما وراء الطبيعة » فلم يرد إلا كتابه الشهير الذي اتخذ تلاميذه عنواناً له « ما بعد الطبيعة » لأنه وجد موضوعاً في الترتيب بعد كتب الطبيعيات . وفي الفلسفة العملية كتب « الأخلاق إلى أوتديم » و « الأخلاق إلى نيقوماكوس » وفيه ينقد نظرية المثل الأفلاطونية ، و ( السياسة ) .

### من فلسفة أرسطو

في النفس : يفرق أرسطو بين النفس بمعناها العام وهي المشتركة بين جميع الكائنات الحية ، وبين النفس بمعناها الخاص التي لا توجد إلا في الإنسان . أما عن النفس بمعناها العام فيرى أرسطو أنها أولى صور الجسم الطبيعي المركب وهي مرتبطة به ، وهي ليست شيئاً مفترقاً عنه كما قال أفلاطون وبارتباط النفس بالجسم يجب أن ندرس قواها ووظائفها كجزء من الكائن الحي . ولذلك فإن أرسطو يتكلم عن قوى النفس : النامية والحاسة والحركة والناطقة . وأدنى هذه القوى النامية هي في النبات الذي يتغذى ويتكاثر ، ويقتصر على هذين العمليين . والحيوان يلي النبات في الرقي إذ يتغذى ويتناسل ويحس ، فالحيوان يدرك بحواسه ، ويتبع وجود الحس الشعور باللذة والألم . وهذا يدفع الكائن إلى التنقل بحثاً عن اللذة أو اتقاء الألم . وهذا ما يفعله الحيوان الذي يستطيع الحركة على خلاف النبات . والإنسان يلي الحيوان رقياً ، حيث يجمع ما عند الحيوان من قدرات ، مضافاً إليها ( العقل ) .

وللنفس العاقلة وظائف أو ملكات ، وأحط درجاتها الإدراك الحسى إذ أك الإنسان يدرك بحواسه صفات الأشياء ولكن لا يدرك جوهرها ، فهو يدرك أن هذه شجرة بصفاتها ولكن لا يدرك ما وراء ذلك ، ثم يلى درجة الإدراك بالحواس ما سماه بالحس المشترك أى المركز فى الدماغ الذى تتجمع فيه الإدراكات الحسية المختلفة (١) .

ويلى الحس المشترك فى الرقى قوة الخيال أو الخيلة التى تستعيد وتذكر الإحساس فى غيبة موضوعه . ويرى أرسطو « أننا نتخيل ما نشاء ومتى نشاء » وتساعد الخيلة على تأويل الإحساس الحاضر بالصورة المحفوظة فيها وهى التى تكون « الصور اللاحقة » من إيجابية وسلبية ، مثال ذلك : إذا تأملنا مدة من الزمن لوناً ما أبيض أو أخضر ، ثم حولنا البصر إلى شىء ، فانا نرى هذا اللون منبسطاً على الشىء . وإذا حدقنا فى الشمس أو فى لون ساطع ، ثم أغمضنا العينين ، فان هذا اللون يبدو إلى الأمام فى الاتجاه المعتاد للبصر ، ثم ينقلب قرمزياً فأرجوانياً فأسود ، ثم يتلاشى . والتعليل أن التأثير القوى ينتشر فى العضو كله ويتمكن فيه ويعاند التأثيرات الأخرى . وللمخيلة شأن كبير فى الأحلام . فهى المصدر الذى تنبعث منه صور الإحساس السابقة فتظهر فى النوم وتخدع الحالم ، لأن ذهنه منصرف عن كل شاغل خارجى ، ولا يستطيع ما يستطيعه اليقظان من مراجعة حاسة بأخرى .

وتأتى الحافظة بعد الخيلة ، وهى تزيد عليها فى إدراكها أن الصورة حصلت من إدراك حسى مضى . ثم تلى الحافظة الذاكرة ، والذاكرة تتميز بأنها تثير الصور وتحضر ما أمام العقل باختيارها .

وتأتى بعد ذلك قوة العقل ، والعقل درجتان أو قسمان : قسم سلبي وقسم إيجابى ، أو درجة قابلة ودرجة فاعلة . والقسم السلبي شخصى خاص . كالقدرة على التفكير ، والقسم الإيجابى ، أى العقل المفكر بالفعل قد كان موجوداً قبل أن يتحد مع بقية قوى النفس ، وهو يتصف بالعمومية بين جميع الأفراد .

معنى هذا أن القوة الإيجابية كالأشعة تسلط على جميع الأفراد بالتساوى .. « ثم يتصل كل شعاع منها بالقوة السلبية في الفرد فيبرز كل ما فيها من قوة إلى الفعل ، لأن هذا الشعاع هو فعل محض ، أما الاختلافات الموجودة بين بني الإنسان ، في الفهم والعقل رغم تساوى القوة الإيجابية المنسكبة على الجميع فنشؤها اختلاف القوى السلبية التي هي بمثابة الأوعية للقوى الإيجابية والتي يختلف تأثير هذه القوى فيها باختلاف استعداداتها (١) .

وتتكون النفس من مجموع القوى التي سردتها ، والنفس هي صورة الهيولى ( تكلم أرسطو عن العلة أى سبب حدوث الموت مثلاً والحكمة من الموت معاً ) وقال إن للعلة أربعة أنواع: علة مادية أى المادة التي يصنع منها الباب مثلاً ، والعلة المحركة أى القوة التي عملت على اتخاذ الباب هذا الشكل أو ذلك ، ثم العلة الصورية وهي روح الشيء وما به ، ثم العلة الغائية وهي الغاية والغرض الذي تتجه الحركة لإخراجه . ثم ركز أرسطو العلل في اثنتين سماهما المادة والصورة ، ويعبر عن المادة بالهيولى . وإذا كانت النفس هي صورة الهيولى .. والصورة لا تنفصل عن الهيولى ، فالنفس لا توجد من غير بدن فهي وظيفة الجسم . ولهذا أنكر أرسطو ما ذهب إليه فيثاغورس وأفلاطون من التناسخ ، خصوصاً حلول الأرواح في أجسام حيوان ، قائلاً إن وظيفة شيء ما لا يمكن أن تكون وظيفة لشيء آخر ، وعلاقة النفس بالبدن كعلاقة نغمات الزمار بالزمار نفسه ، فالنغمات صورة والمزمار هيولى ، كذلك النفس هي موسيقى الجسم أو روح الزمار (٢) .

ويرى أرسطو أن كل ملكات النفس تفتى ببقاء الجسم ما عدا العقل الفاعل فهو أزلى أبدي ، لا يفنى ولا يهلك ، ولا أول له ولا نهاية ، وقد جاء من الله لأن الله هو العقل المطلق ، ويعود إلى الله بعد الموت أى عندما ينقطع الجسم عن العمل .

(١) محمد غلاب المرجع السابق ص : ٨٧

(٢) أحمد أمين وزكى نجيب محمود ( الموجع السابق ) ص : ٢٥٢

في المنطق : يتجه رأى إلى أن كل ما هو موجود في كتب المنطق العربية تقريباً هو منطق أرسطو ، وفي رأى أن الصينيين والهنود قد عرفوا المنطق بتفاصيله وسبقوا إليه أرسطو بزمن طويل ، وهذا يكون أرسطو هو منظم المنطق ومكمله وليس واضعه (١) . ويقسم منطق أرسطو إلى أقسام ثلاثة : قسم يدور على المفردات ، وقسم يدور على الأحكام أو القضايا ، وقسم يدور على الأقيسة أو البراهين .

وفي كتاب المقولات يتعرض أرسطو للمفردات والبحث عن ماهية الألفاظ المفردة وما يلحق بها من التباس وترادف واشتقاق ، والمقولات عشر وهي تقسم الأشياء إلى فصائل مختلفة وصل إليها أرسطو عن طريق الاستقراء ، وهذه المقولات أو الفصائل هي : (١) مقولة الجواهر كإنسان أو حصان (٢) مقولة الكم كرتل أو ذراع (٣) مقولة الكيف كأبيض وجميل (٤) مقولة الإضافة أو النسبة مثل ضعيف ونصف (٥) مقولة الأين أو المكان كال ميدان أو السوق (٦) مقولة المتى أو الزمان كأمس واليوم (٧) مقولة الوضع مثل نائم أو جالس (٨) مقولة الحال مثل مسلح ومنظم (٩) مقولة الفعل مثل قاطع ومحرق ، وأخيراً (١٠) مقولة الانفعال ( أى نهاية العقل ) مثل منقطع ومحترق .

ويتكلم أرسطو عن القضايا أو الأحكام ، ويقسمها إلى بسيطة ومركبة وتتكون القضية المركبة من مجموعة قضايا بسيطة ، والقضية البسيطة هي كلام يدل على معنى يفيد وجود شيء في موضوع أو علمه ، في الحاضر أو الماضي أو المستقبل ، فالقضية إذن نفى أو إثبات .

ويتكلم أرسطو عن وضع القياس الثابت أكيد الإنتاج . ويقول إنه قول مؤلف من مقدمتين متى تثبت صحتها لزم عنهما إنتاج ضرورى كان قبل ذلك

---

(١) أحمد أمين وزكى نجيب محمود ( المرجع السابق ) ص ٢٢٨ ، محمد غلاب (المرجع السابق) ص ٢٠ - ٢٧ ، ماجدة غزوى (المرجع السابق) ص ٢٣ - ٢٥ ، يوسف كرم المرجع السابق) ١١٨ - ١٢٧ .

مجهولاً . وتسمى إحدى المقدمتين بالكبرى والثانية بالصغرى . ولما أضاف  
أرسطو التأكد من صحة المقدمتين كان يعنى البرهان وهو وحده عنده ما يفيد  
العلم ، لأن العلم عنده هو معرفة علل الأشياء التى تبين أن هذه الأشياء لا يمكن  
أن تكون على غير ما كانت عليه ، وليس هو معرفة ظواهر الأشياء كما تعرف  
العامة أو معرفة علل زائفة ليست هى العلل الحقيقية للأشياء .

في الطبيعة : كانت الفلسفة الطبيعية عند أرسطو ترمى إلى تبيان النشوء  
والارتقاء الذى سلكه العالم من هيولى إلى صورة ، والعالم فى سيره هذا يتحرك  
نحو غاية ، إذ أن كل شئ فى الوجود له غاية وله وظيفة يؤدىها . والوجود  
الطبيعى هو الذى يتعلق بالمادة فى الحقيقة وفى الذهن ، وكل ما هو مادمى فهو  
متحرك . وعلى ذلك فموضوع العلم الطبيعى الوجود المتحرك حركة محسوسة  
بالفعل أو بالقوة . ولكن هناك ما هو أعم من الحركة وهو التغير أو الصيرورة  
والتغير يتم من طرف إلى طرف ضده ، فالتغير من اللاوجود إلى الوجود يسمى  
كوناً ، ومن الوجود إلى اللاوجود يسمى فساداً ، ومن الوجود إلى الوجود  
أى التغير من حال إلى حال يسمى حركة .

ولا يؤمن أرسطو بنظرية المثل الأفلاطونية ، ويرى أن الموجودات على  
نوعين : أحدهما ما هو بالطبع أى الأجسام الطبيعية مثل الحيوانات وأعضاؤها  
والنباتات والعناصر ، وهذه تتميز بأنها قادرة على الحركة بذاتها ، وثانيهما  
ما هو بالصناعة أو الفن مثل المصنوعات كالمقعد والرداء . وهذه يحركها صانعها  
أو غيره . والمبدأ الذاتى للحركة والسكون فى الجسم يسمى بالطبيعة ، والجسم  
يتحرك ، والسكون هو غاية هذه الحركة ، فالشجرق تنمو أى تتحرك لتصل  
إلى غاية ، ويتكون الشئ من الهيولى والصورة كما يتكون التمثال من النحاس  
ومن صورة أبو لون .

وعن عملية النشوء والارتقاء يذهب أرسطو إلى أن ( الصورة ) تجذب  
العالم إلى الرقى دائماً ، أما الهيولى فإنها تعوقه وتؤخره ، ولأن الصورة  
لا تستطيع أن تغلب تغلباً تاماً على مقاومة الهيولى فإن الصورة لا توجد من

غير هيولى . ولم يؤمن أرسطو بتحول من نوع إلى نوع بفعل الزمان كما ارتأى ( دارون ) ، ولكن الترقى عنده ترقى منطقي أو ترقى فى الفكرة ، فمثلا يحمل الإنسان ما فى القرد وأكثر . ويقسم أرسطو العالم إلى درجات من أدنى إلى أعلى ، فأولا توجد الأجسام اللاعضوية وفيها تضعف الصورة حتى تكاد تكون هيولى بلاصورة . ثم أرقى منها الأجسام العضوية والى تتحرك من الداخل لتحقيق غاية . والنبات أقل رقىا من الحيوان ، ويلى الحيوان فى الرقى الإنسان ، ثم أرقى من الإنسان الأفلاك التى تأخذ فى التدرج إلى الله ؛ فأرسطو يرى الأجسام السماوية أنها أجسام إلهية وأن الكواكب ومنها الشمس والقمر تدور حول الأرض . ولهذا الكواكب قوة عاقلة أقوى من الإنسان ، وحياتها أزلية أبدية تتميز بالسعادة ، ولا يعرف عالمها الفناء ولا الموت ولا الفساد .

فى الأخلاق : عنى أفلاطون بما فوق عالم الحس ، وتجاوزت تعاليمه فى الأخلاق قدرة الإنسان طارقة أبواب الروحانيات والمثل العليا . أما أرسطو فقد خالف أستاذه واتخذ من الحقائق والواقع ركيزة بنى عليها الأخلاق العملية . ويتكلم أرسطو عن غاية الغايات وأنها محل اتفاق بين الناس ، وهى السعادة ولكن الناس يختلفون فى مفهوم السعادة ويحكمون عليها بحسب سير ثلاث : سيرة اللذة ، وسيرة الكرامة السياسية ، وسيرة النظر أو الحكمة . ويرى أرسطو أن اللذة غاية الحيوانات والعبيد ، أما الكرامة السياسية فيطلبها الممتازون ، ولم يتكلم كثيراً عن سيرة النظر أو الحكمة .

ويرى أرسطو أنه لكى يتحقق خير الإنسان يجب توافر شرطين : الأول أن يكون هذا الخير غاية قصوى أو خيراً تاماً يختار لذاته ، والثانى أن يكون كافياً بنفسه أى قادراً وحده بأن يسعد الحياة دون حاجة لخير آخر ، وسعادة الإنسان ترتبط بنفسه الناطقة وعملها بحسب كمالها .

وفى رأى أرسطو أن القضية ليست طبيعية فى الإنسان ، وإنما الطبيعى فيه القوى والاستعدادات ، كما أن الفضيلة تكتسب بمعاونة الطبيعة ، وهى تعلم بالمران والتدريب ، وتفقد باتيان أفعال مضادة . ويقول أرسطو إن الأفعال

المطابقة للفضيلة تخلق ملكات أو قوى فعلية تجعل الإنسان أقدر على إتيانها ،  
وللثرية أثر كبير في هذا السبيل . والممارسة أساس في تكوين الملكات ،  
ويرى أرسطو أن شعور الإنسان بلذة فعل الفضيلة هو الدليل على حسن  
استعداده للخير ، وأن فعلها بألم دليل قلة الاستعداد لهذا الخير .

ويقول أرسطو إن الفضيلة وسط بين رذيلتين ، وليست كالوسط الرياضي  
الذي يعين النقطة بين طرفين ، ولكنه وسط ( شخصي ) يعينه العقل بالحكمة  
فالفرد بارادته وعقله يعين الفضيلة بعد تحكيم جميع الظروف . ويقول أرسطو  
إن بعض الانفعالات كالحسد والغيرة وبعض الأفعال كالسرقة والقتل آثام  
مذمومة بلا استثناء . وهي رذائل بالذات لا بسبب إفراط أو تفريط . وهذه  
تختلف عن فضيلة الشجاعة مثلا فهي وسط بين التهور والجن . والاعتدال  
فضيلة بين رذيلتين هما الشره ، والاسراف في اجتناب اللذات . والسخط  
وسط ، إفراطه التبذير وتفريطه البخل . والوداعة وسط بين الحدة والحمود .  
والحياء وسط ، إفراطه الوجل أو الاحمرار من كل شيء وتفريطه السفه  
أو الفحة .

في السياسة : لأرسطو كتاب في السياسة ، يتكون من ثمانى مقالات :  
المقالة الأولى في تدبير المنزل ، والثانية في الحكومات المقترحة ، والثالثة في  
الدولة والمواطن ، والرابعة والخامسة والسادسة في الدساتير الوضعية ، والسابعة  
والثامنة في الدولة المثلى .

ويقول أرسطو في تكوين الجماعة السياسية إنها تبدأ بالأسرة ثم القرية  
ثم المدينة التي تكفى نفسها بنفسها ، ومهمتها توفير الأسباب لكى يبلغ أفرادها  
سعادتهم . أما عن تكوين الأسرة فيقول أرسطو إنها تتألف من الزوج والزوجة  
والذرية والعبيد . والرجل رأس الأسرة ، والمرأة أقل عقلا ووظيفتها العناية  
بالمنزل والأولاد تحت إشراف الرجل ، ويرى أرسطو أن الرق نظام طبيعى ،  
فمن الناس من هم على ذكاء وقدرات وهؤلاء هم الأجرار ، وهم الأذكىاء  
الشجعان ، كاليونانيين ومها عدلهم إما أذكىاء فقط أو شجعان فقط ، فهم

عبيد بطبيعتهم . والعبد آله للحياة ، يعمل فيما يتنافى مع ماتحدد كرامة الحر عمله . ولكن أرسطو لم يقر استعباد الشعوب بالفتح ، كما فتح الطريق أمام عتق العبيد ، وأوجب على السادة حسن استعمال سلطانهم .

ويعارض أرسطو أفلاطون في احترامه نظام الأسرة والملكية لأنهما صادرتان عن الطبيعة . لا عن الوضع والعرف ، وإلغاؤهما معارض لميل الطبيعة ونحير الدولة جميعاً . بل هو مستحيل التنفيذ . ولا يقبل فكرة شيوعية النساء كما رآها أفلاطون وبالتالي يرفض شيوعية الأولاد .

ويرى أرسطو أن الحكومة الصالحة هي التي ترمى إلى خير المجموع ، والفاصلة هي التي تعمل لنحير الحكام ومصالحهم الخاصة . ومن أشكال الحكومات الصالحة : الملكية والأرستوقراطية ، والديموقراطية . ومن أشكال الحكومات الفاسدة : الديكتاتورية ، والأوليغركية والديماجوجية .

### آراء أرسطو التربية

يتفق أرسطو مع أستاذه أفلاطون في كثير من الآراء التربوية ، فقد أورد أرسطو في كتابه ( السياسة ) عن العلاقة بين الدولة والتربية ، ويظهر في كتاباته متأثراً بأفلاطون . وينظر كلاهما إلى التربية على أنها من مهام الدولة ولذلك فلم يعجبهما عدم وجود نظام تربوي عام موحد في آتينا ، وطالبا بثورة شاملة ، طرائق تربية الأجيال الصاعدة الآتينية .

ويتفق أرسطو مع أفلاطون في أن تربية الرجل الحر ترتكز على عاملين بدنيين ، أولهما جسم صحيح سليم وثانيهما تكوين عادات مناسبة ، بل أن أرسطو يرى أن التربية عن طريق تكوين العادات الصالحة يجب أن تسبق تربية العقل ، وعن طريق العادات تنقش قيم الحياة النبيلة في عقول الصغار منذ بواكير طفولتهم .

واهتم أرسطو كما اهتم أفلاطون بتنمية العقل إلى جانب تنمية الجسم ، والتنمية العقلية انعكاس القوة الإلهية ولذلك فإن سعادة الإنسان توجد في إيمانه ووحدته مع هذه القوة العليا ، والإيمان البشرى لقوة الإله كفيلة بتمكينه

إصدار القرارات الحكيمه في مختلف سبل الحياة .

ومع أوجه الاتفاق بين أرسطو وأفلاطون فإن هناك جهات ظهر التعارض فيها بينهما واضحا ، فبينما كان تفكير أفلاطون في الاتجاه المثالي نجد أرسطو أكثر ميلا للواقع ، وإذا كان أفلاطون قد هام في سحب اليوتوبيا من خلال محاوراته العديدة فإن أرسطو كتب ما أقنع ر جل العصور الوسطى بآرائه فنسج حولها مشاكله الفلسفية . بل إن أساتذة بجامعة اريس وبولونيا وأكسزورد في عهدها الأولى اعتمدوا على كتابات أرسطو وخاصة في المنطق موفى تحديدهاته الدقيقة في العلوم . كما أن الترجمات اللاتينية لكتابات أرسطو كانت ركائز للدارسين من المسيحيين في الفلسفة وفي الطبيعة .

ذهب أفلاطون إلى القول بأن الوجود يتكون من حس وفكر ، أو مادة ومثل ، أما أرسطو فقد محا هذه الإثنينية ورأى أن الصورة والمادة كل لا يتجزأ وبينما كان أفلاطون يرى أن الحقيقة مركزها في النظام الروحاني السماوى أى في عالم المثل وليس في عالم الواقع الذى هو مظهر لعالم المثل فإن أرسطو يرى أن الحقيقة توجد في عالمنا الواقع . فأرسطو بهم بدراسة احقائق البيولوجيا بينما اهتم أفلاطون بالنظريات الرياضية ، ووجد في تصوره أن عالم الحس لا يفهم إلا بالعالم الآخر الإلهى أما أرسطو فرأى أن على الإنسان أن يعمل عقله فيما بين يديه ، وأن عالمنا يفهم من ذاته ، وأكد ضرورة الاسيعانة بالمنطق . وفهم أرسطو الإنسان كإنسان لا كمخلوق إلهى .

كان أفلاطون يهيم في بحثه عن الحق في الخيال ، في عالم مثالى ، بينما عاش أرسطو على الأرض يبحث عن الحق ، ولم يثق أفلاطون في الحواس ، ورأى أرسطو أنها يمكن أن تكون آلات تستخدم لمعرفة بعض الحقائق الأولية (١) . وقال أرسطو إنه يجب على التربية أن تعتمد على نمو صحى سليم للمتعلم ولهذا فإن الغذاء المناسب والتمرينات الرياضية أساسيان . ولكنه رأى أيضاً أن نمو الفرد يتحدد إلى حد كبير بالعوامل الوراثية الجسمية والنفسية فإطلاق عليه

(١) أحمد أمين وزكى نجيب محمود : ( المرجع السابق ) ص : ١٨٥ - ٢٨٨

« طبيعة صحية » هو مزيج من الفطرى والمكتسب . ونلمح هنا اهتماماً من جانب أرسطو بنقاء الجنس ، كما أنه يتعرض في مناسبات كثيرة إلى ضرورة اعتماد التربية على طبيعة الفرد وأن تعمل على تنمية قدراته . ويرى أن « هدف كل الفن والتربية لاستكمال نقائص الطبيعة (١) » .

ومن آراء أرسطو التربوية التي أوردتها في كتابه « السياسة » أن كل فرد ذى طبيعة صحية ينزع إلى التقليد ، والتقليد أساس الفنون الجميلة ، كما ينزع هذا الفرد إلى الحياة التعاونية مع غيره من الناس ، ويدفع الإنسان إلى هذه المسالك محرك أساسى هو رغبته الطبيعية فى السعادة . وحيث إن السعادة تخرج من ثنایا حياة منتجة منزنة فاضلة ، فان الفرد الصحى سيشم أصلاً بتحقيق القيم النبيلة ، واهتمام الفرد بتحقيق حياة منتجة وسعيدة يثير قدراته وطاقاته لا من حيث عمقها فحسب ولكن فى مداها واتساعها . ولهذا فان الفرد يحاول تثقيف نفسه ويتصل بعناصر البيئة المحيطة ليعمل على نمو طاقاته . ويتفاعل هذه الطاقات يضمن الفرد نمو أكاملاً .

وتنصف طاقات الفرد فى طفولته بأنها تتأثر بالقوى الغريزية أكثر من خضوعها لأحكام وتوجيهات العقل ، ومهمة المربي العمل على أن تكون للزعات الفاضلة والرغبات النبيلة السيادة فوق السلبية وغير الفاضلة . وهنا يكون دور تكوين العادات بالتدريب المستمر .. وقيل فيما بعد إن العادة هى طبيعة الإنسان الثانية .

ولكن أى العادات يكونها الفرد ؟ يشترط أرسطو الفاضل والنبيل منها ، ويحدد العقل العادات الصالحة المقبولة ، فالعقل والأفكار يحددان بداية وأهداف التربية ، فليس من الخروج عن الصواب إذا قلنا إن هدف التربية كما رآه أرسطو هو النمو النفسى والجسمى السليم للفرد . وتبدأ تربية الإنسان بتعويده وتعليمه فى مرحلة من نموه لا يتمكن فيها بعد من تقرير ما يجب عليه عمله . ومع نموه يتمكن من إصدار القرارات والأحكام . وبقدرة الإنسان على إصدار

القرارات الحكيمة يحتمق لنفسه حياة سعيدة تنسم بالانتران والبعد عن الإفراط والتفريط ، وبذلك يضمّن الإنسان البعد عن مهاموى الرذيلة .

ويتحدث أرسطو عن الرجل الحكيم وهو الذى يجمع بين الذكاء والمعرفة العلمية ، هو ذلك الذى يتمتع بفضائل العدالة والشجاعة والحرص ممنزجة بالمعرفة . ويعبر عن هذا المزيج بالحكمة النظرية والعملية التى تمكن صاحبها من الحياة السعيدة الفاضلة مع نفسه ومع غيره من الناس ، وهذا مستوى الكمال حيث تقفل عنده دائرة التربية . وهنا يكون الفرد قد وصل إلى حالة السعادة .

ولكن حالة السعادة هذه لم تنتج من مجرد دوافع بيولوجية وغريزية ولكنها محصلة خلقية وعقلية ، وهى بهذا ترتفع إلى مستوى أعلى من المستوى الطبيعى ، فهى تضم عناصر البقاء ، والمسئولية التى لا تنتهى ، والحرية .

وفى رأى أرسطو أن التربية يجب أن تخدم النظام السياسى القائم وأن تتفق مع طبيعة المعلمين . والتربية من مهام الدولة و ( النظامية منها ) تنتهى عند سن الحادية والعشرين ، وتنقسم إلى أربع مراحل : المرحلة الأولى تنتهى فى سن الخامسة ، والتربية فيها طبيعية وتشتمل على حركات بدنية تلقائية مع اهتمام بحماية الأطفال من المؤثرات اللاأخلاقية . والمرحلة الثانية من سن الخامسة إلى السابعة وفيها يلاحظ الأطفال الأنشطة التى سيارسونها فيما بعد ، ويبقى الطفل فى البيت فى هذه المرحلة ولكن تحت إشراف مديرى التربية فى الدولة .

أما المرحلة الثالثة فتنهى قبيل سن المراهقة وفيها يتعلم الأطفال القراءة والكتابة والحساب والتربينات الرياضية والموسيقى . ويهتم أرسطو بالرياضة والموسيقى على أساس أنهما يهيئان للفرد حياة منسجمة متزنة سعيدة . والمهم فى هذه المرحلة التدريبات وتقليد السلوك الطيب وتكوين العادات الخلقية السليمة . ويؤمن أرسطو بأن التربية علم مبنى على مبادئ عامة ذات صبغة عالمية معترف بها ، ولذلك فهو يعهد بالأطفال فى هذه المرحلة إلى المسئولين من قبل الدولة ليقوموا على تربيتهم .

أما المرحلة الأخيرة وهي مرحلة ( النفس المنطقية ) . فيبدأ فيها المتعلمون بسنوات ثلاث يتعلمون خلالها دراسات ذات طابع عقلي مثل العلوم والفلسفة والآداب والعلوم السياسية التي يرى أنها سيدة الدراسات كلها ويدخل فيها علم النفس . ويرى أرسطو أن ملكات الفرد تنمو في ثنايا هذه الدراسات .

### أثر آراء أرسطو التربوية

كانت آراء أرسطو كنزاً ثميناً للفكر التربوي والفلسفات التربوية ، فالى جانب الأدوات المنطقية التي وجهت طرائق الحكم والتسلسل ، فان آراءه كانت الحكمة التي تأثر بها كثير من المفكرين مثل توماس الأكويني والبرنوس ماجنوس لوضع فلسفة مسيحية منظمة . بل إن آراء أرسطو كانت الأساس الذي بنى عليه منهاج التعليم في أواخر العصور القديمة . كما أن مناهج المدراس الثانوية والمعاهد العليا اليوم تظهر دلائل على تأثير أرسطو . فان تصنيف الكتب في بعض مكتبات الجامعات القديمة في أوروبا يتبع تقسيم أرسطو للمعرفة ونعرف أن الفنون العقلية الحرة السبعة التي درست في معاهد العصور الوسطى واستمرت إلى القرن الثالث عشر ومازالت مؤثرة إلى اليوم مستمدة من أعمال أرسطو . وتشتمل الفنون العقلية السبعة : على النحو والمحاورة والبيان والموسيقى والحساب والهندسة والفلك . وتسمى الفنون الثلاثة الأولى بالثلاثية ، والأربعة الأخيرة بالرباعية .

ومع إعجاب المفكرين في العصور القديمة والوسطى بكلمات أرسطو وآرائه ومنطقه إلا أنهم وجدوا في جوهر فلسفته غرابة عنهم فلم يستطيعوا الإبقاء على روح البحث المستقل ، ولم يتمكنوا من تنفيذ آرائه في التربية ، ولم يتفهموا بعمق أنه أدرك الإنسان على أنه كائن دينامي مستقل متكامل .

ثم اهتزت بعض آراء أرسطو في عصر النهضة بظهور التجريب والبحث العلمي . وأصاب آراءه - وخاصة في الطبيعة - نقد كبير حتى أصبحت ذات قيمة تاريخية فحسب ، ومع ذلك فان آراءه في بعض المشاكل الفلسفية وفي المنطق مازالت توهج ومازالت محوراً للمناقشات الفلسفية .

## محاولة لتقييم التربية الإغريقية

بالذات التربية الإغريقية ...

فان تأثيرها على العالم الغربي مازال - في رأى الكثيرين من علماء الغرب - فاعلا نشطاً . وليست محاولة التقييم هذه كشف حساب عن هذه التربية ، وليس القصد وضعها في ميزان النقد ، فما يظن الكاتب إلا أن هذه عملية تستأهل كتاباً قائماً بذاته . وإنما يرمى الكاتب إلى وقفة فصيحة نطل فيها على هذا التراث الإغريقي من ارتفاع قليل بعد أن دخلنا أكاديمياتها وليسياتها وحلمنا مع أفلاطون في جمهوريته حتى شدنا أرسطو إلى واقعيته .

من عل نرى أن التربية الآثينية - والمجتمع الآثيني والثقافة الآثينية التي أسست عليها تلك التربية - لم تكن ديموقراطية ، إذا قصدنا بديموقراطية التربية تكافؤ الفرص التعليمية للجميع فلم ينظر الآثينيون ، وجيرانهم الإسبرطيون ومن قبلهم الهنود البراهمة ، ومن بعدهم الرومان وأوروبا العصور الوسطى ، لم ينظروا إلى التربية على أنها حق لكل الناس ، لكل أفراد الشعب ، حتى كأشعة الشمس والهواء . كانت التربية حقاً استمتعاً وزيينة للمواطن الآثيني الذكر الحر . أما العبيد وغير الآثينيين والنساء فليس لهم ذلك الحق . وإن سمح للنساء بتدريب على الشؤون المنزلية والتسوية مع عناية بالحيوانات الخلقية ، كما سمح لبعض أطفال غير الإغريق بدخول المدارس مع أطفال الإغريق ، فقد حجب حق التعليم كلية على المهبلوت وهم العبيد .

ويمكن القول إن مفهوم التربية كحاجة بشرية وحق بشري لم يكن معمولاً به إلا - ربما - عند المصريين القدماء والصين العتيقة ؛ حيث إنه في الصين ومصر لم يقف شيء بين أى عضو في المجتمع وبين تلقي إرث أنواع التعليم إلا الفقد ونوع التعليم المحتجز لوظائف كهيوتية عالية . وقد اقتربت التربية المسيحية في مفهومها عن المساواة في التعليم بين كل الناس بغض النظر عن

الجنس والمستوى الاقتصادي والاجتماعى والسن والهلالة وموطن الفرد الأصلى ولم تستطع المسيحية فى قرونها الأولى أن تضع هذا المفهوم الجميل موضع التنفيذ ، وكان لابد لها أن تنتظر العصور الحديثة حتى يصبح الحلم حقيقة فى بعض الدول .

قامت التربية الآثينية على أساس ( الديمقراطية الارستوقراطية ) . كانت أرستوقراطية لأنها امتياز لمجموعة قليلة العدد من سكان آثينا ، وديموقراطية لأنها - فى نطاق هذه المجموعة من المواطنين الذكور الأحرار - ضمت كل أفراد هذه الجماعة المميزة . وإذا قبلنا هذا الوصف وهو ديموقراطية داخل نطاق جماعة مميزة فى المجتمع فلا يجب أن يغيب عن بالنا أنها ديموقراطية - فى مفهومنا الحديث - لا يجوز ولا يجب الاعتراف بها .

ولم يقف حد غرور أحرار الإغريق ، وخاصة الآثينيين ، عند حد التمتع داخلياً بهذا الامتياز الطبقي ، بل إنهم نظروا إلى الشعوب المجاورة فى الشرق الأوسط على أنهم برابرة لا يدانون الإغريق فى رقيهم ورفعتهم . ويرى طورى (١) أن الدراسة غير المنحازة تكشف عن بناء اجتماعى وثقافى عند بعض هذه الشعوب أرقى مما كان موجوداً فى اسبرطة وآثينا . ويرى أن الإغريق مدينون للشرق بالكثير ، فان مصر أمدتهم بالأسس العلمية وأفكارها ، كما أن الفينيقيين كان لهم الفضل فيما لدى الإغريق من أدوات التعليم كالحروف الهجائية ، كما أن الثقافة الهندية - الفارسية صدرت للإغريق المفاهيم الدينية . ويقول أوتو وينمان :

« لقد لعب الشرق دوراً كبيراً فى تنمية الثقافة الإغريقية . وأصبح اليوم من الأمور المسلم بها أن المجد الثقافى الذى توج الاسكندرية كان مرده جزئياً إلى الكنوز التى جمعها المصريون ، وأن المصريين منذ عصور سابقة كانوا معلمى الإغريق ، فهم أساتذتهم فى العلوم التقنية والرياضية . كما أنه من المؤكد

---

Laurie, S.S : Historical Survey of Pre-Christian Education,(١)  
p. 8.

أن أشكال «عبادات والأساطير والقصص والأغاني والأقوال الحكيمة استورها  
الإغريق من الشرق» (١).

ونرى في التربية الإغريقية وخاصة الآثينية منها اهتماماً بما يطلق عليه اليوم  
« اشخصية المتكاملة » فالكثير يقال عن اهتمام آثينا بالفردية ، واهتمام التربية  
بالموسيقى للروح والرياضة للبدن . ومع هذا فإنا لا نستطيع إلا أن نتساءل عن  
معنى أن يقتصر ما يسمى بالفنون العقلية الحرة وتعليمها على المواطنين الأحرار  
وكانوا قلة ، أما الجوانب المهنية كالزراعة والحرفية وغيرها فكانت من نصيب  
غير الأحرار المواطنين . تربية عقلية للأحرار ومهنية للعبيد .. وقد صار امتحان  
للتربية المهنية إذ ارتبطت منذ أيام الإغريق بما يتعلمه العبيد وهم أدنى مكانة من  
السادة الأحرار الذين درسوا الفلسفة والشعر والموسيقى . ولكن أحداً منهم  
لم يمتحن حرفة الموسيقى ، ولم يدرسها لعائد من ورأها أو مكسب يجنيه منها ،  
فالكسب المادى شيعة العبيد والاستمتاع الفنى صفة السادة الأحرار . وقد ساد  
هذا المفهوم قرناً طويلاً مما حمل معه طبقة زائفة قوامها التعلم للزينة والمباهاة  
كما فعل أبناء الأرسطوقراطيين فى مجتمعات حديثة ، أما التعلم لكسب العيش  
فهذا أمر لم يقدره أفراد من طبقة النبلاء والأشراف . وقد احتقر الآثينيون  
جماعة السفسطائين لأنهم انحطوا بالحكمة فشوا يبيعونها ويتكسبون منها . وقد  
آلمهم موقف السفسطائين هذا لأنهم تحولوا إلى تجار محترفين ومستعدين لاتخاذ  
أى موقف طالما يضمنون عائداً ثميناً . فلكى تكون الحكمة والفلسفة وغيرها  
من الإنسانية ذات احترام وقدسية يجب أن تحاط وتتوج بهالات الاحترام ،  
فلا تلوث بالتجار أو كسب المال . بل تظل فى أبراج نظيفة لامعة . وعلى  
سكان هذه الأبراج أن يخدموا بعضهم البعض ، ويقدموا المعرفة لذاتها ،  
غايتهم الارتواء . ولكنهم رفضوا كل الرفض أن يعرفوا بمعرفة ذات طابع  
عملى أو ما سبى فى القرن العشرين بطابع براجماتى .

(١) Willmann, Otto : The Survey of Education, ( trans. Felix M. Kirsch. ) p.18 19.

إن الغريب في الأمر .. وقد لا يكون غريباً .. أن السادة الأحرار ما كانت حياتهم تقوم لولا ما أنتجته غير الأحرار من عملهم بأيديهم . وقد لا نشك لحظة لأنه لو لم تنفذ البطون لما استطاعت العمول القيام بوظائفها ، فبدون الغذاء تتوقف الحياة . العقول تعمل في أجسام حية .

على أننا - للإنصاف - نقول إن فكرة الآثينيين الأحرار كانت تقوم على أن للتربية تأثيرها المحرر على العقل البشري ، وأن التربية هي هدف في ذاتها بما تنتجه من نمو داخلي ويقظة وإدراك ورؤية وبصيرة ... أو كما قال ديموقريطس « التعليم والطبيعة شيان متشابهان ، لأن التعليم يغير الإنسان ، ومن خلال هذا التغير يكتب الإنسان طبيعة ثانية » (١) .

ويدافع المؤيدون للتربية الإغريقية عن موقف القلة الحرة ، قائلين إنه كان لديهم الوقت الكافي والظروف الاجتماعية والاقتصادية الملائمة . فقد تمتعوا بالحرية التي حجبت عن الغير ، وصار لديهم فراغ ملأوه بدراسة الشعر والأدب والعلوم والفلسفة والموسيقى .. ويقولون إن التربية مثلها مثل الابتكار كلاهما يتطلب أن يعطى الفرد نفسه باختباره وإرادته ، أما التعليم المفروض على الفرد فهو يهزم نفسه ولا يثمر ولا يحقق أغراضه . وما يفرض عليك لا يحرك . ويقولون إن الفنون والعلوم التي يفرضها الغير على المتعلمين تتحول إلى أعباء ثقيلة في وطأتها على عقولهم .. هي أشياء لا حياة فيها . وكما أن الطعام يكون شهياً عندما تكون الرغبة والشهية مفتحين لتقبله ، كذلك المعرفة تكون أكثر ما تكون مثيرة مفيدة عندما تشبع جوع الوعي والفهم .

إنه رائع أن ننظر من على إلى التربية الإغريقية ففرى فيها التكمال والجوانب المتعددة . ومرة أخرى نأسف لأن هذا قصر على القلة من الأحرار ، ولكن المهم أن هذه التربية عملت على إنماء قوى العقل والجوانب الفنية والقوى الابتكارية ، والخلق ، والبصيرة الدينية والمشاركة المدنية . وقد نجح الإغريق في هذا الأمر الذي يصعب تحقيقه اليوم . وربما كان السبب أن الحصيلة المعرفية

(١) ويلمان : المرجع السابق ص ١٢٧ .

التي قدمت أيام الإغريق كانت تسمح في حدودها الكمية بأن تعطى المتعلمين .  
المتمتعين بالفراغ والجددة والرغبة الصادقة في التحلي بزيينة المعرفة ، ما عندها .  
هذا مستحيل اليوم ، ولا تاتي بالا إلى هؤلاء الذين يدعون معرفة كل شيء .  
وثق أنهم يكادون مجهلون كل شيء .

ثم أليس رائعاً ما قاله سقراط مشيراً في براعة وحصافة إلى أن الأخلاق  
هي أسمى وأعلى وأجل هدف للتربية ، ثم ما قاله رابطاً بين الفضيلة والمعرفة ،  
هما قرينان متلازمان ، ويجب أن تؤدي المعرفة إلى الفضيلة . وإلا ما كانت  
معرفة ، ثم اقتران الحق بالجهل .

وأيضاً من حكم الإغريق في التربية أن السيطرة الذاتية تتمخض وتنتج عن  
المعرفة الذاتية .

يتطلب الأمر حكمة ليكون الواحد خيراً فاضلاً .